يوسف اسعد داغر

من الحافظين للتراث في التنظيم والتعريف

بقلم وداد سكاكيني

* * *

عرف علماء العرب في قديمهم بالسليقة والمرانة والاطلاع تنسيق الفهرسة وجمع المصادر والمراجع لتأليف الكتب والتعريف بها وبمؤلفيها وفق ما اهتدى اليه وعيهم ومراسهم ، فكان « الفهرست » لابن النديم و « كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون » لحاجي خليفة من اشهر المظان العربية ، ولم يقتصر هذان الكتابان على ذكر المؤلف والعنوان والتاريخ ، وانما جعل ابن النديم مؤلفه « الفهرست » تعريفا بالموضوع وكاتبه وقد جمع فيه اسماء الكتب التي وقف عليها حتى اعقاب القرن الرابع فنظمها حسب موضوعاتها وتحت اسماء مؤلفيها .

أما « كشف الظنون » فكان يلم المامة موجزة تجمع التعريف بأكثر ما وصل الى علمه بالمؤلفات التي ظهرت حتى عصره المتأخر فضلا عن تعريفه بالمخطوطات والمطبوع منها حتى ايامه .

وعلى هذا النسق تصدى يوسف اليان سركيس اللبناني المتمصر لنشر معجم شامل للمطبوعات العربية والمعربة جمع فيه ما ادركه منها حتى عام ١٩١٩ فذكر اسماء المؤلفين ولمحات عن تراجمهم وموضوعات كتبهم ومكان طبعها وتاريخ ظهورها وكان لهذا المعجم ملحق بعنوان « معجم التصانيف الحديثة » في جزئين وذلك للمطبوعات التي ظهرت بين ١٩٢٢ ـ ١٩٢٨ على ان معجم سركيس ينقصه كأمثاله التحقيق فيما نقل الى تصنيفه وتنسيقه فقد أهمل جوانب من بحثه الكبير فيها فنون معاصرة .

وفي نهضتنا الفكرية الحديثة قام بعض الباحثين في التراث والانتاج بجمع ما وصل الى ايديهم وبلادهم في مكتبات خاصة او عامة بعد ان نسقوا اسماء المؤلفات ووضعوا تراجم لكاتبيها ، وقد تجول فريق من هؤلاء الباحثين في الشرق والغرب للوقوف على خزائن الكتب والاوراق وما احتوت من نفائس التراث العربي والاسلامي فنقلوا منها ما استطاعوا اقتناءه او شراءه بالثمن والمنن « هذه بضاعتنا ردت الينا » او انهم أخذوا صورا ومنسوخات عن المخطوطات وكتبوا تعريفا بها وبمؤلفيها وخزائن ذويها .

وكان بعض العلماء اللبنانيين مقيمين ومغتربين اسبق المعنيين بالفهرسة العلمية وتنسيق المكتبة « ببليوغرافي » وقد عرفوا في بيئات المستعربين والمستشرقين بهذه العناية القديمة ، وكان لفئة منهم مشاركة قوية في تنظيم المكتبات الغربية وفهرسة محتوياتها من المخطوطات والمطبوعات وبخاصة من كانوا من رجال الفكر والدين الذين عكفوا على المكتبات الكبرى باحثين ومؤلفين ، او عاشوا في تنظيمها وتقويمها وكأنهم يتعبدون في الهياكل والمحاريب وقد اجمع السابقون الى تنسيق المكتبات في الشرق والغرب على ان العرب في مختلف عصورهم كانوا وما يزالون على ترادف الاجيال والزمان اكثر الامم مشاركة في تنمية الحضارة الفكرية والانسانية .

ومن يطالع البيانات والفهارس التي تنشرها المكاتب والمعاهد العلمية في عواصم العالم يجد البرهان القاطع على ان تراثنا وآثارنا في نمو الحضارة العقلية كانت خصبة محببة ومتنوعة قيمة ، فقد قدم علماء العرب اشتات المؤلفات في العلوم والفنون وشاعت هذه الكتب في القريب والبعيد حتى وصلت الى الغرب ونقل بعضها الى اللاتينية وغدا هذا المنقول عن العربية بذور المغارس الفكرية في أوروبة وحوافزها الى الانطلاق والابداع .

ولقد اصاب التراث العربي في مخطوطاته كثير من التبديد والتشريد فمن الضياع والاهمال في دفائن المخازن والمستودعات الى عوامل الطبيعة والحروب التي فتكت بجانب كبير من هذا التراث ، على ما بقي منه ضائعا او موزعا ليس بالقليل المعدود ، وجله تسرب الى المكتبات الامريكية والاوربية وقد اجرت جامعة الدول العربية احصاء تقريبيا للمخطوطات العربية في اشهر مكتبات العالم فوجدت ان عددها يناهز الملايين الثلاثة .

ومن أجل الحفاظ عليها والوصول اليها وجمعها اسست معهد المخطوطات ومجلتها في القاهرة .

ومنذ تعددت البعثات العلمية من البلاد العربية بعد الثلاثين من هذا العصر كان فيها القليل من الراغبين في الاختصاص بشؤون المكتبة والكتاب ، جلهم من الجامعيين المصريين الذين عادوا الى بلادهم ومعاهدهم بهذه الدراسة الجديدة وقد ازداد عددهم على توالي السنين فحققوا فيها تعليما وتأليفا وترجمة وتحقيقا كان له اثره في البحث والدراسة النهجية .

وقد سبقت مصر غيرها من البلاد العربية الى انشاء قسم في اكبر جامعاتها لفن الوثائق والمكتبات يدرس فيه الطلاب والطالبات هذا الفن الجليل على ايدي اساتذة أكفاء تمرسوا به طويلا وبرزوا في آثارهم وثقافتهم فأضافوا الى العقول والمواهب والحاجة القومية دراسة جدية جديدة .

وثقافة التراث في تحقيقه وتنسيقه وفي فهرسته ومراسه قد استهوت افرادا من اعلام البحث والتأليف في البلاد العربية كالاستاذ الكبير كوركيس عواد العراقي الذي عكف طويلا على اعداد المراجع الكبرى في بغداد وكان له

في عالم « البيبليوغرافي » ذكر وفخر فيما قدم علمه وعمله للمكتبة العربية والباحثين من أسباب التأليف والاطلاع ، وقد اضاف الى فضله معجم المؤلفين في القرنين التاسع عشر والعشرين .

ومثل هذا المجهود العلمي الضخم قدمه في سورية البحاثة الرائد الاستاذ عمر رضا كحالة الذي يقدم الكتاب تلو الكتاب في هذا المجال .

وكان من أسبق الذين احبوا ثقافة التراث وطلبوها من مظانها ومعهدها النظامي في باريس الدكتور يوسف العش الذي وهب قسما من حياته ودراسته لخدمة المكتبة والكتاب في بلاده السورية وكان بعد اختصاصه بفن المكتبات مديرا للمكتبة الظاهرية في دمشق حاول التنظيم والتأليف من اجلها ثم انتقل الى الجامعة استاذا للتاريخ وعميدا لكلية الشريعة حتى توفاه الله .

ويعد الاديب الكبير الدكتور صلاح الدين المنجد حجة وثقة في العالم العربي بالتراث وثقافته ودراسته وله في تحقيقه العلمي دقة الاستقصاء والاختيار .

ومن قبل هؤلاء الثقات من الباحثين في المكتبة العربية تعلق بالمكتبة والكتاب عالم أديب من لبنان هو الاستاذ يوسف أسعد داغر الذي غدا عالميا بفنه واختصاصه فقد برز بين انداده في هذا الميدان وبقي فيه مجليا متمكنا منذ انصرف اليه دون غيره من الفنون التي اتقنها ، ولم تشغله تكاليف الحياة ومتاعب المراس الدائب عن هذا الاختصاص الذي كان فيه مدرسا ومؤلفا واغترب من اجله منقبا ومحاضرا في المؤتمرات العلمية بأمريكا وعواصم الغرب ثم منظما للمكتبات الجامعية والعامة في البلاد العربية كان آخرها الكويت والسودان .

تعلم يوسف أسعد داغر الفلسفة واللاهوت بفلسطين، وربما اعده أهله ليصير كاهنا او حبرا كبيرا ، لكن طبعه ونبوغه حولاه ليكون ولوعا بالمكتبة والكتاب ، فبعد ان علم الفرنسية وادبها في ارقى معاهد لبنان عكف على البحث والتنسيق في التراث العربي والاجنبي وقد رآه أهله مشغول البال بفن المكتبات فالتمسوا له المعاذير في هذا التحول والانطلاق الى جامعة « السوربون » في باريس ليعب من المناهل التي استساغ طعمها وارتوى منها حتى تخرج من قسم التاريخ ومن معهد الوثائق والمكتبات محققا رغبته في هذه الدراسة التي لم تكن قائمة في بلاده ، ثم كانت مرانته الطويلة في المكتبة الوطنية بعاصمة الفرنسيين متنقلا بعدها الى كبريات المكتبات في الشرق والغرب .

وفي عام ١٩٣١ عهدت حكومة لبنان الى الاستاذ يوسف داغر بتنظيم المكتبة في دار الكتب ببيروت مساعدا للمدير ثم أمينا عاما للمكتبة .

ولما أسست الجامعة اللبنانية عام ١٩٥٠ كلفته الحكومة انشاء مكتبة خاصة بهذه الجامعة فقام الاستاذ داغر بهذه المهمة ثم التحق بالجامعة الامريكية في بيروت وعمل في مكتبتها زهاء عام .

وفي السنة الثانية دعته وزارة الخارجية الامريكية ومكتبة الكونغرس في واشنطن وهي التي تعد اكبر مكتبة في العالم اذ ان عدد الكتب فيها تزيد على عشرة ملايين من المجلدات فاطلع على التنسيق والتصنيف في هذه المكتبة ووقف على أهم محتوياتها وكتب مقالات عن المحفوظات الاسلامية فيها نشرها في « العرفان » و « الاديب » وغيرهما من الصحف العربية والاجنبية .

ولا يزال الاستاذ يوسف اسعد داغر منصرفا الى « البيبليوغرافي » والفهرسة المنهجية في اقطار الشرق الاوسط عامة والعربية خاصة يتلقى الدعوة بعد الدعوة لتنظيم المكتبة والمشاركة فيما جد بشأنها .

ولعل القاريء المثقف يدرك فضل هذا الجهد الذي اداه الاستاذ داغر للبحث العلمي والتأليف المنسق ، اذ امده بعدته واداته لتكون في خدمة المؤلف والباحث ، ولكم وفرت لهما من وقت ومشقة في التقصي والاطلاع حين قدم لهما مصادر التأليف في فهارسه الدقيقة المحققة التي ظهر بعضها مطبوعا وبعضها الآخر ينتظر العون المالي للظهور ، وكان من حق هذا الكتاب الكبير بحجمه وفحواه « مصادر الدراسة الادبية » او « الفكر العربي الحديث في سير اعلامه » ان تتعهد نشره وزارة ثقافة او دائرة حكومة تعنى بالتراث وثقافته .

ولو شاء الاستاذ يوسف اسعد داغر ان يعكف على التحقيق والنشر في تراثنا وآثارنا لتيسر له الامر ، فان رواج المخطوطات وضمان طبعها وظهورها ميسوران احيانا، وقد اقبل على التحقيق فيها بعض الطامعين بالمكافأة وليس في الساحة الا القليل القليل ممن يتصدون للنقد في هذه المنشورات على ان الاستاذ يوسف داغر ادرك منذ تعلق بالمكتبة والكتاب ان ثقافتنا العربية الحديثة تحتاج الى الذرائع الاساسية في البحث والتأليف فانصرف الى « البيبليوغرافي » ونشر مؤلفاته العديدة في الفهارس والمصادر والتراجم ولم يقتصر على هذه الموضوعات التي اصبح خبيرا عالميا فيها بل شارك في النقد الادبي والادب المقارن والاستشراق في الغرب والمسرح العربي في خلال عصر والدراسات الافريقية والاسلامية والبيزنطية في امريكا وغيرها

وكان آخر ما أعد الاستاذ يوسف أسعد داغر للنشر معجمه للتراث اللبناني في اعلام المؤلفين ولمحات عن حياتهم ومؤلفاتهم والمراجع التي تناولتهم في البحث والدراسة ، وقد ظهر الجزء الاول من هذا المعجم الكبير .

فما اجدر اصدقاء الكتاب والمكتبات في لبنان بتكريم الرجل الذي وهب حياته وكفاحه لمثل صداقتهم الصادقة فعاش بين اكداس الصحف وقاعات الكتب باحثا ممحصا مستجليا الحقائق مما جاء في صفحاتها وبين سطورها ليضمها الى مؤلفاته ويقدمها للعربية وتراثها الاصيل .

ان جوائز الفكر والقلم مرصودة لمن كابد التأليف النافع واوتي الموهبة المبدعة والعمل الدائب في خلود الوطن والعبقريات وكان الاستاذ العلامة يوسف أسعد داغر في طليعة الجديرين بالتكريم والتقدير .

دمشق **وداد سكاكيني**

الدخان

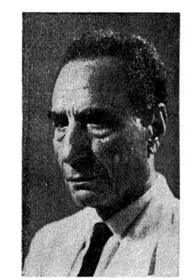
تشوف مستطلعا للسماء   وحلق يخفق خفق العلم
يروعك مندفعا غربه   تدافع لج تهاوى بيم
ففي كل أفق له مطرف   بهيم الحواشي كليل عمم
وتحسب ما شف من ثوبه   غماما بمندرج يلتطم
وتلقى على الشرق راياته   ترف كأجنحة من أمم
صحائف منشورة الدخان   تثير الشجون وتذكي الالم
صحائف خطت بها أسطر   كنقش بغير يد أو قلم
تراها تجوز الفضاء الرحيب   وتطوى كبارقة في خضم
وما المرء في الحكم الا الدخان   وغاية أمر الدخان العدم

ترفع مستعليا كالسحاب   وجر من التيه ذيلا ولم
وما انفك يرقى عنان السماء   ويشمخ مستكبرا من شمم
تعالى كما شاء حب الطموح   الى ذروة لم تطاها قدم
وجاز السحاب الى غاية   تصافح والنجم فيما زعم
وما زال يعلو ويبدو الوضيع   ويشمخ وهو الحقير القزم
تلاشى مع الريح في لمحة   وزال كما يتلاشى النغم
وكم وثبة اعقبت سقطة   ولم تغن غير مرير الندم
وما المجد في الحكم غير الدخان   وغاية أمر الدخان العدم

سعت أمم قبلنا للخلود   ببذل النفوس وشحذ الهمم
أقاموا الاوابد ملء الفضاء   وشادوا المدائن فوق القمم
ففي كل ناحية عامر   لهم ، وبكل مكان علم
فاسلست الريح عن ذلة   قيادا لهم في خنوع الخدم
ودان المحيط لاهوائهم   وأذعن مستخذيا وانهزم
فخالوا الخلود قريب المنال   وناموا وعين الردى لم تنم
عدتهم جوائح ريب الزمان   فاضحوا شتاتا وأمسوا رمم
تلاشوا كما يتلاشى الهباب   سوى خبر غامض كالتهم
وما الناس في الحكم الا الدخان   وغاية أمر الدخان العدم

أراك تشدين في لهفة   ضلوعا براها مرير السقم
وللذكريات على مقلتيك   ارتياع الذبيح وذل الندم
أشاقتك ذكرى الى غابر   سحيق وعهد عفاه القدم
وهل راع قلبك أن ينطوي   صباي ويعدو صباك الهرم
فأطبقت جفنا على آهة   وللحزن في الصدر وخز الالم
تودين لو دام عهد الشباب   ودامت مواثيقه والزمم
أكان الصبا غير لمع السراب   وأي سراب شفى من وحم
جليل لعمرك ان لا يدوم   شباب ويبقى لشاد نغم
وما العمر في الحكم غير الدخان   وغاية أمر الدخان العدم

دمشق   عدنان مردم بك



الدكتور علي الناصر

الشاعر علي الناصر

بقلم فاضل السباعي

***

كان أول ما سمعت بالشاعر الدكتور علي الناصر ، في أعوام الاربعينات الماضية ، وانا طالب في « ثانوية المأمون » بحلب. قالوا انه شاعر عظيم . وقالوا أن لـه مزاجا خاصا لا يستسيغه الناس ، ولا يقبل هو به الناس ! وظلت صورته ماثلة في خاطري : فنان غريب الاطوار ، في مجتمع يعسر عليه التفاهم مع أمثاله . وكنت اتمثل هذه الغرابة ، كلما مررت بعيادته ، قرب ساحة « باب الفرج » التي تتوسط المدينة . ولكني لم التق بـه الا في منتصف الخمسينات ، وانا اختلف على دار الكتب الوطنية ، ثم على المركز الثقافي العربي ، فأرى شيخا ربع القامة ، ذا قسمات صارمة ، وشعر لم يجلله بياض سابغ .

ومرة رأيته ، شتاء ١٩٦١ ــ ١٩٦٢ ، في احدى الندوات الفنية ، يتصدى للدفاع عن الفن التجريدي ، معربا عن الانطباع الذي خلفته في نفسه احدى هذه اللوحات المعروضة ، والتي انكر فنها بعض الحاضرين ... فبدا لي الناصر ، الشيخ ، وهو يفيض بحماسته ، متفتحا على الجديد من الفن في احدث اساليبه ، غير مغلق نفسه على شيء منها أبدا .

ولكنه بدا لي ايضا ، في اولى زياراتي له في عيادته ، شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٤ ، واسع الثقافة ، سائغ الحديث ، لطيف المعشر على الرغم مما يقال فيه . يحدثك في آخر مكتشفات الطب الجلدي (اختصاصه) ، والطب عامة ، حتى الطب النفسي ، ثم يعرج على فن الشعر ، ولا يفوته ــ ان كنت من كتاب القصة ــ أن يتطرق الى فنك الاثير ، فتراه على دراية باصوله . ولكن ما استوقفني في حديثه الممتع ان له مخطوطة ديوان أسماه « قصة أيام » ، يروي فيه صادق مشاعره في قصة حب خرج منها ، حديثا ، ملتهب الحسرات !

قصة حب لهذا الشيخ الوقور ... أجل !

وأنشدني « مقطوعات » منهـا ... فاذا هي تطفح عاطفة ، من فرح ، ثم من أسى غامر . واذا الشيخ ، في انشاده ، يختلج صوته ، حتى ليوشك ان ينقل الى العدوى !

اي فنان هذا ! يعشق ، وهو في نحو السبعين، شابة ربانة العود !! ومن حسن حظه أنها قدرت فنه ونبوغه ، انطلاقا من قدرها لـ « أنا » ، التي خلدها الشاعر الكبير في ما ينوف عن مئة « مقطوعة » من الشعر المنظوم والمنثور ... فبادلته حبا بحب ، وآنست شيخوخته ، وبعثت الدماء حارة في عروقه ، فاذا هي تذكره ــ دون ان تدري ــ بالقبر الذي ينتظره ، فيقول لها في صادق عذابه :

أنقذيني ، فانني أسمع الـدو د يغنـي في باليات عظامي !

الا انني رأيته في يأس من أمره . لقد انحبس عنه الالهام منذ نظم آخر مقطوعات هذا الديوان ، في ٩ ــ ١٠ ــ ١٩٦٤ ، مقطوعة نثرية اولها :

« هيأت كل شيء .

« أنا بانتظارك .

« لم هذا البطء ؟... »

بثني همه ذات مساء : « لـم اعد استطيع قول الشعر ، يا فاضل ! » ، ثم استدرك مطمئنا نفسه : « فرغت من « قصة أيام » ، وهي قمة ما أرجوه » .

فواسيته : « وارى انه ... اذا مرت على الشاعر او الفنان ، فترة انحبس فيها الالهام عنه ، فلعله ان يكون في مرحلة تهيؤ ، يعطي بعدها شيئا جديدا بديعا . ان الفنان الاصيل لا يسكته الا الموت » .

فأومضت عيناه : « او تعتقد ذلك ؟! » .

ثم ان « استقرائي اياه الجديد من قصائده والقديم ، ليلة بعد ليلة ، هاج ــ كما بدا ــ شيطان الشعر عنده . ويا غبطتي ساعة ما اتصل بي ، مساء الجمعة في الخامس عشر من اول شهور ١٩٦٥ ، بالهاتف الى بيتي، ليقرأ علي القصيدة الرقم (١٢٦) من « قصة أيام » ... » (١) . التي نظمها في ساعته ، وكان مطلعها :

كل ما قـد رأيته طول عمري لـم يكن غير ضلة الاوهام (٢)

وانثال عليه الالهام .. فكتب مقطوعات في شتى الاغراض . واما « قصة أيام » ، فقـد ربت مقطوعاتها ،

حتى بلغت مئة وسبعا وثلاثين ، نظمت أخيرتها في ٤ – ٩ – ١٩٦٦ (٣) .

أعجبت بعلي الناصر ، وقدرته مبدعـا وانسانا ، واحببته حب تلميذ لاستاذه . وترددت عليه طوال العام ١٩٦٥ . وما اذكر اني رأيته ، في دخولي عليه العيادة ، الا وهو مكب على المطالعة ، قد قرب اليه « اسكملة »، واضعا عليها الكتاب ، وكثيرا ما يكون مجلدا ثقيل الحمل على ساعديه وهو في شيخوخته البيضاء. فاذا افتقدته في غرفة مكتبه ، مرة ، فهو في غرفة المعاينة مع احد مرضاه .

وغالبا ما كنت أراه متخذا جلسته ذاتها ، في ذلك الكرسي الخشبي العريض العتيق ، الذي يتوسط الغرفة، فهو يجعله حيث يرى كل داخل الى عيادته من بابها عبر مجازين يفضي احدهما الى الاخر . وفي الشتاء ، كانت نار المدفأة تلتهب الى يمينه ، على حين يكون قد فرش ، منذ اول موسم البرد ، على كرسيه ذي المسندين الجانبيين ، جلد خروف ، واما صيفا ، فكان يحرص على ان تظل نوافذ الغرفة مغلقة ، مصاريعها الزجاجية والخشبية ، منعا لتسرب الضجيج والغبار من ساحة «انطلاق الباصات» في ادنى البناية ، وامامه المروحة الكهربائية ، يعملها تارة ويسكتها أخرى . ولقد خاطب غرفته هذه بقصيدة مطلعها :

يا غرفتي ، يا محرم الا سرار ، يا حصن اختفائي
تاوي اليك الحادثات على هوان في المساء (٤)

وكانت العيادة هي المكان الذي يمارس فيه عمله في ساعات نهاره دون ممرض او مساعد ، مثلما كانت ملاذه الذي يأوي اليه في سواد ليله دون مؤنس او رفيق . ذلك انه هجر ، قبل وفاته بنحو عشر سنين ، منزله ، تاركا زوجته وولديه ، مؤثرا ان يعيش لعمله وفنه ونفسه ، في هذا المعتكف الخالي من اسباب الرفاهية : ينام على سرير غير وثير في غرفة مكتبه، التي تحوي ثلاث خزن ؛ وديوانة (اريكة) قديمة ، ومكتبا خشبيا ، وبعض المقاعد والكراسي. يصيب فطوره وعشاءه مما تيسر له في مقامه. واما الغداء ، فغالبا ما يحمل اليه من بيته في ساعته .

وكان يسلك ، في حياته اليومية ، نظاما رتيبا . يفتح باب عيادته – صيفا – في الساعة التاسعة والنصف صباحا ، ويغلقه في الثانية عشرة ، حيث يتناول غداءه في العيادة ، او يتوجه الى احد المطاعم . وقد يتمشى في الشارع بعد الغداء ، وربما قادته قدماه ، ايام الربيع ، الى « الحديقة العامة » القريبة من عيادته . ثم يفتح عيادته في الرابعة والنصف مساء ، حتى اذا جن الليل اوصد الباب على نفسه ، فهو لا يفتح لطارق قط ! وكنت اذا تراءى لي ان ازوره ليلا ، فان علي ان اتصل به هاتفيا ، كي يفتح لي الباب (٥) .

وفي الامسيات ، كان يتجمع بعض الصحاب في عيادة صديقه الدكتور محمد صفا الكاتب ، المجاورة لعيادته . فيسفي اليهم ، في جلسة حول « طاولة النرد » ، التي يتعاقب عليها السامرون في حماسة بادية .

ولقد أبعدتني عن هذا الجو الحميم ، ريح حملتني ، في منتصف شباط ١٩٦٦ ، من حلب الى دمشق موظفا لدى الدولة منقولا . فكان اكثر ما ساءني اني مبتعد عن صديقي علي الناصر . واحسب انه قد احس ، هو ايضا ، بافتقاده صديقا قد سهر على رعايته على نحو لم يألفه في من عرف من الناس (٦) . ولقد وعدني ، على الرغم من ضنه في كتابة الرسائل ، بأن يكتب الي في مقامي الجديد ، ولا يقطع رسائله عني . وقد بر ، فكان ان تلقيت منه ، على مدى ثلاث سنوات ونيف ، سبع عشرة رسالة ، تحمل أولاها التاريخ ١٣ – ٦ – ١٩٦٦ ، والاخيرة ٣ – ١١ – ١٩٦٩ (٧) .

* * *

ينتمي علي الناصر الى عشيرة عربية تسكن بادية الشام وتدعى « بني خالد » ، ومنها فخذ « الناصر » .

وتقيم أسرته في مدينة « حماه » السورية ، وفيها ولد في تسعينات القرن التاسع عشر . وقد علمت من صديق الفقيد بحلب ، السيد حميد حميد باشا ، ان تاريخ ولادته ، كما هو مدون في بطاقته الشخصية ، كان في العام ١٨٩٦ . الا اني وقعت على قصيدة للناصر (٨) ، جاء فيها :

« الست والسبعون » ما جادت بما ينفي شقاء العمر عني (٩)

١ – من مقال لي في مجلة « الضاد » الحلبية ، العدد المزدوج كانون الثاني وشباط (يناير وفبراير) ١٩٦٥ ، بعنوان « الشاعر علي الناصر قاصا » .

٢ – نشرت هذه المقطوعة في « الاديب » ، عدد مارس (اذار) ١٩٦٥ ، ضمن مقطوعات بعنوان « خمس قصائد جديدة » ثم قرأتها في آخر دواوينه « اثنان في واحد » ، تحت عنوان « كل ما رأيته » ، ص ٧٩ .

٣ – للدكتور عبد السلام العجيلي دراسة ممتعة عن هذا الديوان المخطوط عنوانها « قصة أيام وشعر وحب » ، نشرت في « الاديب » ، عدد مايو (ايار) ١٩٦٧ .

٤ – « غرفتي » ، ديوان « اثنان في واحد » ، ص ٧٤ .

٥ – بدوت مسرفا في تفصيل ذلك . ولكنه تفصيل تبرره النهاية المشئومة ، كما يلي .

٦ – كتب الي ، مرة ، يقول : « يا فاضل اين انت ؟ ان الاقدار حرمتني حتى منك ومن عونك وابعدتك الى دمشق » ، من رسالته المؤرخة في ٣ – ١ – ١٩٦٧ .

٧ – لقد وجدت ، في هذه الرسائل ، أبلغ تعبير عن عالم علي الناصر الخاص : فكره وفنه وعواطفه وصبواته ، وبالاختصار : همومه العامة والذاتية بما فيها اليومية . وسوف أعمد الى نشرها قريبا .

٨ – ظهرت في « الاديب » ، عدد اغسطس (آب) ١٩٧٠ ، وقد بعث بها الشاعر الحلبي عمر ابو قوس ، فنشرت في مقال له عنوانه « الشاعر الفقيد الدكتور علي الناصر » ، وفيه انها « القصيدة الاخيرة التي نظمها الشاعر » .

أبوه « محمد الناصر » بن قاسم . وأمه « نزهة » بنت محمد المصري من عسكر ابراهيم باشا . وهو اصغر اخوة ذكور ثلاثة : « قاسم » (١٨٧٠) و « محمد سعيد » (١٨٨٥) .

تعلم في « كتاب » في حماه . ثم دخل المدرسة الاعدادية الوحيدة في بلدته . واتم دراسته الثانوية في دمشق ، ومنها سافر الى حاضرة الدولة العثمانية ليدرس طب الامراض الجلدية والزهرية في « الكلية الطبية العسكرية العثمانية الشاهانية » في استنبول ، كما كانت تسمى آنذاك . وتخرج طبيبا عسكريا في العام ١٩١٧ ، برتبة « نقيب » . وعمل ، منذ تخرجه ، في حلب ، التي احبها واتخذ منها مقاما له . وفيها تزوج من فتاة تركية من انقرة ، فانجبت له : ابنه « وائل » (١٩٣٤) ثم ابنته « تيماء » (١٩٣٧) .

كان علي الناصر معتدا بملكته الشعرية اعتدادا بالغا . حتى انه لينظر الى الشاعر العربي الكبير ، ابن حلب ، « عمر ابو ريشة » ، تلميذا من تلامذته ... وانما الحظ واتى عمر ، واخطأه هو .

وليس من شك في انه يعد ، حين النظر الى مجددي الشعر العربي الحديث ، رائدا في طليعة رواده الحقيقيين . فهو الذي نظم ، منذ ثلاثينات القرن العشرين ، « القصيدة المتحررة من قيود بحور الخليل » ، وقد ادعى « منذ ذلك الحين ، أبوة الشعر الجديد مدعون كثيرون ليس بينهم علي الناصر ، لانه حين نظم شعره على هذا الشكل لم يكن يريد ان يبدع مذهبا جديدا في النظم ، بل كان يريد ان يعبر عن احساسه الخاص بطريقة خاصة ، فكانت تلك القصيدة » (١٠) .

ومما يستلفت النظر قصر واضح في قصائد الناصر ، او « مقطوعاته » كما كان يروق له ان يسميها ... قصر قلما عرفته العربية في مجموع النتاج الشعري لاحد شعرائها المجلين . فقد كان يكره الطول في القصيدة ، ويراه فضولا او نافلة . ومن المعاني ما افرغه في بيت وحيد . فانما الشعر عنده ومضة ابداع في حنايا النفس ، تستجلي في لحظتها قبل ان تخبو . ولم يكن من دابه — كما اعلم — ان « يتابع » نظم قصيدة من يوم الى آخر ! وكان يلح في مقطوعته الشعرية الواحدة « المكثفة » ، على أن يحمل البيت الاخير منها اضعاف ما حملت أبياتها السابقات غالبا . ولربما بدا لقارىء ، احيانا ، البيتان او الثلاثة الاولى من احدى مقطوعاته ، خالية من الومضة المرتجاة ، ولكن المقطوعة تستدرها ، لتفجرها في البيت الاخير .

ولقد كانت للناصر اناة العالم التي مكنته من تعلم اللغات : التركية والفرنسية والانكليزية ، ثم اضاف اليها — وهو في الستينات من العمر — لغة رابعة هي الفارسية ، وذلك — كما روى لي الدكتور محمد التونجي (١١) — « حبا بشاعر الفرس الكبير حافظ الشيرازي ، واعجابا بمعانيه الغزلية التي أراد أن يقرأها في لغتها الاصلية »(١٢) .

ولقد زاوج الناصر ، في شعره ، ما بين العاطفة والفكرة المتقدة . ولعله جعل الفكر في منزلة اوفى ، حتى ليقول فيه شاعر لبنان سعيد عقل ، وهو يقدم لديوان شعر جديد للشاعر الحلبي علي الزيبق : « يوم كنت اقرا له (أي للشاعر الزيبق) الواحدة ، من قصائد يبعث بها الى بعض مجلاتنا ، من حلب البلد الغالي على علي الناصر ، الشاعر الجم الفكر ، كنت اتساءل : لكم ينبغي ان يكون هذا السياف الفتي مدلا على العراك حتى يجرؤ على اثبات وجوده في حضرة السيف ! » (١٣) .

على اني وجدت الناصر ، في مجال نشر نتاجه ، يتمنى ان يذيع صيته ، ولكن يقعده عن تحقيق ذلك اباء عنيد جبلت عليه نفسه الانوف ، وليس يخلو عرض النتاج الادبي على الناشرين من حرج احيانا ، بسبب ما قد يستتبع ذلك من اعتذار يرفضه مزاج شاعرنا رفضا قاطعا . وما اذكر على طول مداومتي على قراءة المجلات العربية ، اني طالعت له فيها شعرا ، او وقعت على مقال يتناول بالدراسة أثرا من آثاره التي تصدر في حلب وفي فترات زمنية متباعدة تخرجه من دائرة الضوء على المستوى العربي ... لولا ان نهض صديقه الشاعر علي الزيبق ، في العام ١٩٦٢ ، بمهمة ارسال اربع مقطوعات له

٩ — كتبت الي السيدة هند الناصر ، ابنة أخي الفقيد ، من حماه ، في رسالتها المؤرخة في ١ — ٥ — ١٩٧١ ، بناء على استفسار مني ، تقول ان عمها ولد في العام ١٨٩٠ . واحسب ان هذا أقرب الى الصواب . لانه من الثابت أن شاعرنا تخرج طبيبا من الجامعة في العام ١٩١٧ ، وليس يعقل أن يكون آنذاك في الحادية أو الثالثة والعشرين من عمره . ومما تجدر الاشارة اليه أن الفقيد كان يسوءه أن يسأل عن عمره : سالته مرة فوارب ، فلما أعدت الكرة ، في آن اخر ، اظهر ضيقا بسؤالي .

١٠ — من مقدمة ديوان « اثنان في واحد » ، التي كتبها الدكتور عبد السلام العجيلي ، ص ١١ .

١١ — صديق الشاعر وتلميذه ، وهو استاذ الفارسية والعبرية في كلية الآداب بجامعة دمشق سابقا .

١٢ — بقدر صبر الناصر على الدراسة والاطلاع ، كان يضيق بكتابة الرسائل او استنساخ أشعاره في الدفتر او الدفاتر المعدة لهذا الغرض . ولقد كتب الي ، مرة ، في ٣ — ١ — ١٩٦٧ : « ان هذه الايام كرمت علي غير مشكورة بكثير من المقطوعات الشعرية ، التي نازعتني نفسي مرارا الى تمزيقها ، لا سيما حين افكر بتبييضها ونقلها ، وانا على ما عليه من كراهية التصحيح والتسجيل » . ولقد حدثني ، في أواخر العام ١٩٦٤ ، بأن أحد أصدقائه ، وهو السيد جورج راعي صاحب صيدلية الحرية بحلب ، قد تطوع لان يستنسخ له مقطوعات ديوان « قصة أيام » ، بيده ، في دفتر خاص . فلما سمعت منه ذلك ، ندبت نفسي ، بدوري ، لان استنسخ له ، على آلتي الكاتبة ، وبيدي ، الديوان ذاته على نسخ خمس . ومن هنا خصني بنسخة منها .

١٣ — من تقديمه ، المؤرخ في ٤ — ١١ — ١٩٧٠ لديوان الشاعر علي الزيبق : « شلحة ناي » .

الى « الاديب » ، فنشرت في اعداد ثلاثة (١٤) .

ومنذ توثقت عرى الصداقة بيني وبينه ، وانا استحصل منه على اشعاره ، وابعث بها الى « الاديب » وغيرها من المجلات العربية . وقد جرينا على ان ينشدني مقطوعات من شعره (وهو لا ينشدك الا اذا آنس فيك الرغبة القوية في السماع) ، فأستوقفه عند مقطوعة راقتني ، فيمليها علي املاء ، اكتبها ثم اتلوها عليه للاستيثاق (١٥) ، واستنسخها في بيتي على الآلة الكاتبة ، قبل ان اوجهها الى النشر . ولكم كان يبدو عليه الابتهاج ، مع حرصه على كظمه ، وهو يتملى النظر من اشعاره منشورة !

ولعله كان هانئا في عزوفه عن نشر دواوينه ... الى يوم عزم ، في اواخر العام ١٩٦٨ ، على نشر « اثنان في واحد » ، فركبته من ذلك هموم هي مما يعانيه كل من جرب ، من المؤلفين العرب ، ان ينشر كتابا « على نفقته » (١٦) !

ولئن كنت قد وجدته دمثا ، انطلاقا من فهمي لعالمه الخاص ، لقد رآه الآخرون صارما ، او فظا ، او متغطرسا ، او غريب الاطوار نافرا من الناس (١٧) !

وكان محبا لاسرته الصغيرة ، اعني ولديه : وائل وتيماء ، وكم حدثني عنهما حديث حب وتفان (١٨) . ولكن بدا انه لم يكن على وفاق تام مع شريكة العمر . ولا ريب انه قد ساءه منه جدا هجرانه البيت ، منذ تعلق بلهمته ديوانه « قصة أيام » واقامته في العيادة .

ومنذ عرفته معرفة شخصية ، وانا ادرك مدى ما يعانيه من احساس بتجربة الموت . وما كان تدلهه بالشابة ، في اوائل الستينات ، الا تشبثا منه بالحياة التي اخذ يرى شمسها تميل الى الغروب . وكثيرا ما قرن ، في اشعاره المتأخرة ، بين « الموت » و « الحب » .

* * *

ولم يكن ليدور في خلد أحد ان يلقى الناصر نهايته غيلة ، في عيادته ، ظهيرة الاثنين الاول من حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، برصاصة غادرة اخترقت صدره ونفذت من ظهره . وقد بدا ان الناصر حاول اللحاق بالجاني ، الذي سرعان ما تسلل من العيادة مغلقا الباب خلفه . ولكن الناصر ، في لحاقه به ، أحس بالوني ، فارتد نحو مكتبه ، ليستنجد بالهاتف . الا ان قواه خارت ، فتهالك على الكرسي ، وارتمى راسه على المكتب ، وسقطت سماعة الهاتف على الارض .

وما دروا به الا بعد عشرين ساعة من الحادثة ، حين دعيت زوجته وابنته ، ففتحتا الباب بحضور بعض الجيران ، ليروا الرجل وقد اكب براسه على المكتب ، وانحدرت نظارته الى انفه ، وتساقطت على الارض قطرات دم دلت على محاولته اللحاق بالجاني ، مسافة خطوات ، قبل ان يدركه الونى ويرتد الى جهاز الهاتف (١٩) .

وقد تولت السلطات التحقيق . ولكن المجرم ما يزال ـ حتى اعداد هذا المقال ـ مجهولا ، ودوافع الجريمة لغزا محيرا .

وهل تصور الناصر ، حين ناشد « الغيب » ان يجعل « ختام حياته فغلة » (٢٠) ، ان يجيء الختام مفاجئا ومروعا معا !

واذا كان قد ازدرى الموت ، يوما ، في قصيدة له شهيرة ، مطلعها :

تلاقيت والموت وجها لوجه فكان ابتسام ، وكان ازدراء (٢١)

او كان قال :

---

١٤ ـ هي اعداد : مايو (أيار) ، يوليو (تموز) ، اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٢ .

١٥ ـ وغالبا ما كان يطلب الي ، وبخاصة في زياراتي له بعد غياب طويل في دمشق ، ان أتخذ مجلسي وراء مكتبه العتيق ، مقدما لي وريقات منتزعة من مفكرة هي مما تقدمه الدعايات الطبية . ومما لاحظته انه كان يرتب أشياءه ترتيبا دقيقا ، ويؤوده ان تمسها يد . واذا استرعى انتباهك شيء مما على مكتبه ، وساقك فضولك الى أن تمسك به لتطلع عليه ، أهاب بك ان تعيده الى سابق وضعه . وكان يحرم على زواره ان يدخنوا في عياداته ، فهو للتدخين عدو لدود .

١٦ ـ لقد طفحت رسائله الي ، منذ ١٣ ـ ٣ ـ ١٩٦٩ ، بالشكوى المرة من هذه المشكلة ، شكوى خطها قلمه وهو تحت وطأة انفعال بالغ الشدة !

١٧ ـ لست أنسى ما كتبته المحررة الادبية في جريدة « الجماهير » الحلبية ، يوم زارته في عيادته لتجري مقابلة صحفية معه . لقد رأت فيه نمطا من الرجال لم تالف ... بادرها بقوله : « ماذا تريدين ؟ » ، ثم ثنى : « ولكن ماذا تعرفين عني ؟ » . واذ دخلت معه في حوار ـ ليس هو الحوار الذي استعدت له على كل حال ! ـ طفق يحدثها عن فنه وذاته . وقد أجابها ، بعدما شاهد ارتياعها من ثقته المفرطة بنفسه : « هذه الثقة هي حصيلة تجربتي الطويلة مع الحياة . فانا لا اومن الا بنفسي . وان كنت قد اخترت متعمدا ان أعيش في شبه حجر في هذه العيادة القديمة ، فذلك لاني لم اعد اتحمل الناس » ... وقد ختمت المحررة مقالها المعنون ب « علي الناصر ومشروع مقابلة لم يتحقق » ، المنشور في « الجماهير » عدد ٥ ـ ٨ ـ ١٩٦٩ ، باعتذارها للقارىء ، لانها لم تقدم له المقابلة على الوجه الذي كانت ترغب ، مبررة ذلك بقولها : « فشاعرنا قادر على تحويل رغبة اقدم صحفي في المهنة »!

١٨ ـ غادر ابنه وائل حلب في العام ١٩٦٤ ، ليعمل في بيروت من غير « اجازة عمل » من السلطات اللبنانية ، فكان اجره قليلا مستغلا ، مما اضطر أباه الى ان يرفده بما يحتاجه من مبالغ تعينه على العيش. وقد تزوج وائل من دنمركية ، ثم ما لبث ان رحل الى بلدها بعد نحو عامين امضاهما في لبنان ، فهو هناك منذ ذلك الحين .

١٩ ـ كتبت الي هذه التفاصيل ، في رسالتها المؤرخة في ٣١ ـ ٣ ـ ١٩٧١ ، الآنسة سوزان السباعي الطالبة في كلية اللغات بجامعة حلب ، نقلا عن شاهد عيان هو الدكتور بشير الكاتب ، نجل الدكتور محمد صفا الكاتب ، الذي اتفق حضوره الى مسرح الحادثة ساعة فتح العيادة .

٢٠ ـ « ايها الغيب » ، « اثنان في واحد » ، ص ٣٥ .

٢١ ـ « تلاقيت والموت » ، « اثنان في واحد » ، ص ٢٧ .

افدي الشآم

الى اخي الغالي الشاعر العربي الملهم الرقيق عدنان مردم بك حفظه الله

أفـدي الشـآم وساكنيها　　والمجـد والعـز الرفيهـا
أفـدي رباها الخضر رفت　　كالجمال تميـل تيهـا
أفـدي النسائم بالعبير　　تطـل أنفـس ناشقيهـا
أفـدي دمشـق وافتـدي　　بردى الحبيـب وافتديهـا
أفـدي السواقي الجاريات　　تـدل دل الحـور فيهـا
أفـدي تسابيـح الطيـور　　تـرن تذكـر سامعيهـا
أفدي بنيهـا الصيد مـن　　غسـان والذكـر النبيهـا
افـدي الجبـاه الغـر　　شعت بالجـلال لمجتليهـا
أفـدي البيـان السحـر　　أفدي الشعر منفم ملهميها
أفـدي دمشـق وافتديها　　أنـا بعضها وهواي فيهـا
أهـوى دمشـق هـواي　　بغداد الحبيبة لـو أفيهـا
أنـا بنـت كـل العـرب　　بنت بداتهـا او حاضريهـا
مهـدي الجزيـرة انمـا　　قلبـي تـوزع ساكنيهـا
أنـا ملكهـا أنـا نذرهـا　　انـا صوتها الرنـان فيهـا
أنـا زندهـا وزنادهـا　　أنـا درعها أنـا من يقيهـا
أنـا نبتهـا أنـا بنتهـا　　أنـا مـن بروحي أفتديهـا

بغداد　　عاتكة الخزرجي

أشد ظهري ، وامشي حاملا ثقلي　　آبى الخضوع،وآبى ذل خسراني(٢٢)

الا ان علي الناصر ، المتحدي العنيـد ، قـد لان ، اخيرا ، واستسلم لصروف الزمان :

خضعت،وها قد أوهن الدهر همتي　　وما عادت الاوهام تقلق باليا (٢٣)

فكم قسا الدهر عليه ، وعلينا ، اذ سقاه كأس المنية دهاقا : بأن يقتل غيلة ، ويظل مكبـا برأسه على مكتبـه عشرين ساعة قبل ان يعلم احد بأمره، ثم يضيع دمه هدرا !

وان مما يؤسف له ان نفرا قليلا جدا هم الذين مشوا في جنازته . ولم يتـداع اصدقاؤه في حلب ، او اي مـن المؤسسات الثقافية ، او نقابة الاطباء ، الى اقامة احتفال تأبين له ، حتى اليوم . وكل ما كتب عنه ، في علمي ، منذ مصرعه ، ثلاث كلمات ، في جريدتين ومجلة :

كلمة للسيدة هنرييت عبودي، في جريدة «الجماهير» الحلبية ، عدد ٤ ـ ٦ ـ ١٩٧٠ .

كلمة للصحفي الحلبي الاستاذ عمـر النيربـي ، في جريدة « الثورة » الدمشقية ، عدد ٨ ـ ٧ ـ ١٩٧٠ .

كلمة للشاعر الحبي الاستاذ عمـر ابـو قوس ، في « الاديب » ، عدد اغسطس (آب) ١٩٧٠ .

وصمت الآخرون ، كل الاخرين .

مات علي الناصر ، وترك ثمانيـة مؤلفات مطبوعـة ، واربع مخطوطات شعرية هي :

« قصة أيام » ، « قصة الكون الثاني » ، « الاغوار الجديد » ، « المطاف الاخير » .

لقد تمرد علي الناصر علـى قيم الفن المتوارثـة ، وتحدى مسلمات طالما انحنت لها المجتمعات ، ومـا عبيء بالناس : انكروه أم سخطوا عليه !

وما هم علي الناصر : أن يحيـا لفنه ، ولفكـره ، ولنفسه . وقد حقق ذلك على نحو تعجز عنه الجلة مـن الصفوة .

ان علي الناصر ، الفنان والانسان العظيم ، لـم يمت عندي ... ولن يموت عند كل مـن سبر العميق مـن اغواره ، وقليل ما هم .

دمشق　　فاضل السباعي

---

٢٢ ـ من مقطوعة له ضمنها رسالته الي المؤرخة في ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٦٨ . وقد بعثت بها الى « الاديب » تحت اسم « ويح السنين » ، فنشرت في عدد مايو (ايار) ١٩٦٩ .

٢٣ ـ « الاديب » ، يوليو (تموز) ١٩٧٠ ، من رسالة من علـي الناصر الى الشاعر العراقي عبد الخالق فريد ، وقـد نشرت بعنوان « آخر ما نظم الدكتور علي الناصر قبل اغتياله » .


سلما لاغرلوف

السويد ارض الشعر

مهداة الى الاصدقاء

Anders Osterling, Karl Ragnar Gierow, Harry Martenson

بقلم الدكتور زكي المحاسني

***

منذ كتبت في (الاديب) الاغر (١) قصيدتي لذكرى الاديبة والقاصة السويدية « سالما لاغرلوف » فاهديت هذه القصيدة الى الصديق ، كبير ادباء السويد الدكتور الاستاذ « آندريس اوسترلنغ » وانا أحس ان طائفا يعبق بخاطري ويدور في خلدي ، لانشق ريا أدب السويد الصافي ، كنفوس أهليه ، كما ينشق من نغم شميمه بعطر لا يفنى . فرحت أجول في انموذجات من شعر الشعراء السويديين ، ونوافر من ادبهم الرفيع في مؤلفات نقلت من لغتهم الى الفرنسية . وقد حصلت على بعضها بطلب من ناشريها بباريس ، فاذا انا تلقاء دنيا سكنت اعالي اوربة الغربية ، ممتزجة بالبحر لا تعرف الحرور ، ويترامى عليها نسيم رخي من جبالها الثلجية ، واذا هي تشبه في طيب اقليمها « أولمب الاغريق » المطل على بحر « ايجه » حيث اطلع الفلسفة الهلينية العنيفة وسكب على البيان الانساني اشعار الفاتنة « صوفي » والغانية « منازيدكا » حتى أتى جبار الشعر والملاحم هوميروس فغنى على قيثاره الابدي الحان الاساطير في الالياذة والاوديسة .

كذلك وقفت ساحرة السويد « سلمى لاغرلوف » بعقلها النير وطبعها الرجولي الفياض بالخير والجمال ، ومواهبها في الادب شعرا ونثرا وقصة ، تعطي العالم من اقصاه الى ادناه ثمرة سويدية شهية في مد يد عمر ملأته بالعلم والحنان والتقوى واطلعت فيه قصصا لها ومؤلفات نقلت الى لغات العالم ، حتى استراحت سنة ١٩٣٩ تحت ظلال جنة من جنات بلادها . تسمع بروحها تراتيل الثناء عليها في صباها وكهولتها وشيخوختها التقية وهي ناضرة النفس مجللة بالعزة القومية والوقار الفكري ، وهبت حياتها العظيمة للوفاء والفداء .

اما كبير أدباء السويد الصديق الدكتور « آندريس اوسترلنغ » عضو المجمع الادبي السويدي فانه من بناة الاجيال السويدية في الادب والشعر وفي الفكر والفن ، في سابق زمنه وحديثه . وقد نقل الى الفرنسية المؤلف جان فيكتور بليران قصائد مختارة من شعراء السويد في طليعتهم آندريس اوسترلنغ في كتاب سماه المختارات ، اصدره سنة ١٩٤٧ . كما صدرت بباريس مجموعة عام ١٩٦٤ في مجلة « رومبالدي » ، ضمت الخطبة المجمعة الرائعة التي خطبها « اوسترلنغ » في المجمع الادبي السويدي عشية استقباله عضوا فيه ، وقد نقلها الى الفرنسية الاديب سترومبري .

واني لاتشهى ان ارى آثار المعلم العظيم اوسترلنغ الذي ولد اواخر القرن الماضي وظل حتى اليوم حارسا للادب السويدي وموجها له في مطالع اجيال كازاهير لا تفنى وفي قرائح تلاميذه ولداته واصدقائه من كرام شعراء السويد ، فأجدني وجها لوجه مع الشاعر المطبوع كارل رينيار جييرو في قصيدة له يصف فيها استشهاد جندي من الابطال وقد ضمخ الثرى دمه وامتصته جذوره ، فليمع في خاطري شاعرنا العظيم ابو تمام الطائي ، حين رثى البطل محمد بن حميد الطوسي ، قائد الجبهة الشرقية في خراسان وما وراء النهر في العصر العباسي الثاني ، كيف صور دم هذا البطل الشهيد ، وكيف استحال نجيعه من أحمر قان الى حلة سندسية خضراء عند قوله :

تردى ثياب الموت حمرا فمادجا لها الليل الا وهي من سندس خضر

فيالله ! كيف يلهم مثل هذا المعنى الشاعر السويدي « جييرو » . ان « جييرو » يقول (بلساني في الشعر العربي) في قصيدته التي سماها « الثاني » من مجموعة « دوران » ص ١٧٠ طبعة اوربية بباريس :

فلا تقدروا وزني بميزان عدلكم
ولا تحكموا فيما دهاني بحكمكم
فاني بعيد عن اذاة وخير

١ – « الاديب » بيروت نوفمبر ١٩٦٩ ص ٦ .

احس باني صرت جبار دهركم

رضعت مقالاتي بصبر وقسوة
وقد علمتني كيف احيا بشدة
ومن جبروت كان قدما ملازمي
كجنية تسعى لحتفي وغمرتي

ادري دما مقداره في جسومنا
دماء لعمري في الجسوم تهولنا
وكم انا مبتل بهـا حيثما سعت
بي القدم العثراء حتفا تسومنا

اما قصيدة الشاعر الكبير « جيبرو » التـي سماهـا « وحدة وعزلة » فيقول فيها بشعري :

تاتي السنـون وتذهـب
من فوق غـرس الزمـن
وامـراة تمشي الـى
جنبك بالسعـد الهنـي

ومضت بنـا اعوامنـا
تنهي روايـات الحيـاة
مـاذا تريـد امـراة
هامت على وجه الممات ؟!.
فاسمع « اذن » قلبي بما
تصغي باذنك فوقـه
تجـد الوحيد بـه رمى
حزنا يهدهد حزنـه

يا نظرة عبـر الوجود
لا شيء تنظره هنالـك
الا ظلامـا في الخلـود
في عزلة تدعو المهالك

وانني لاجد الرمزية عبقة في شعـر « كارل جيبرو » الذي يعيش بخواطر مجنحة في آفاق التأمل ، واذا جـاء بالفلسفة فانما يجود بها سهلة لينة غير معنتـة ولا تبعث على القلق والحيرة ومراوغة الاعتقـاد ، وهـي لا تـؤذي العقيدة ولا تسيء الى الاخلاق والآداب .

واما الشاعر المعاصر هاري مارتنسون الذي تربـع على اريكة الشعر السويدي الحديث واخذ ينظر الينا مـن صورته هذه التي اسند فيها ذقنه الى قبضة يده ، منطلقا في نظرة داخلة ، يخيل اليك انها خارجة ، ومـا هـي الا ناظرة خلال نفسه ، وكانه في معزل بها عن الوجود ، وقـد وضع امامه على خوان التحف مركبا شراعيا ليرمز به الى ان الانسان مثل سفينة والحياة مثل البحر . وهذا المعنى يحملني على طيف الذكرى الى قصيدة لـي قديمة نشرها اخي اديب العرب في حلب صاحب « الحديث » في مجلتـه الحلبية حيث اقول :

وما الحياة سوى فلك ببحر ردى وما ابالي بفلكي ايـة سلكا

ولقد اخذ الكاتب انجيمار وزلياس السويدي يتحدث عن الشاعر « مارتنسون » شاعرا وكاتبا وروائيا وبخاصة



هاري مارتنسون

•

في رواية (السيرة الذاتية) التي سماها «القريص المزدهر» في دراسة طبعها معهد الثقافة السويدية باستكهولم ص ٨ قال فيه ان « مارتنسون » بروايته هـذه الذاتية تتجلى شخصيته وتبرز سجايا حياته الخاصة . وكذلك اجـد المؤلف (فريدريك دوران) قد وفاه حقه مـن التحليل النفسي والعرض الادبي ، فعدد مآثـره ص ٢١٠ وعرف بمؤلفاته وتاريخ طبعها وناشريها وموضوعها ، وبمن قامـوا بالدراسات فيها وبينهم ادباء كبـار مرموقون لهم مـن المعجبين بهم من كتب عنهم ، هم أيضا .

وهاري مارتنسون ، شاعر رفيـع القـدر متواضع النفس وقد تمرس بأدبه منذ عام ١٩٢٩ وقد نقـل الـى الفرنسية الكاتب الذي اشرت اليه قصيدة لـه فريدة في كتابه ص ١٠١ ، وهي قصيدة روحية اجتماعية راح يقدس فيها العمل ويمسح عن جبـاه العمال تعرقها ، في الداب الذي يقوم به الانسان الفاني ، في ظلال هـذه الحياة ، ان كانت قد منحته نعمة ظلالها الوارفة فهـو يكسب قوتـه ليعيش وينفع . وقد سمى القصيـدة « الفحم » فارسل فيها نفحات ريا على المناجم اللاهبة التـي يهبط اليهـا الانسان ليبحث بأطباق الثرى ويخـرج الفحم الحجري ، فكانت قصيدته مثل نسيم بليل يمـر خـلال الغصون العطشى الثابتة في الهجير تحت الشمس المشتعلة . وقـد نظرت في هذه القصيدة فاذا هي بين المنظوم والمنثور ومـن طراز ابتكاري بديع تشعر في نسجها باللحون والاوزان التي تربطها بالشعر وتحس عندها انطلاق القوافي التي قد تقيد المعاني في سلاسل لا ترضى بها ولا تكون من ذهب ، انـه يقـول :

ادخل في اعماق الثرى
وسلنا كيف نفكر في الفحم ؟

حوار

تقول : علام الخوف والامن ماثل … ونحن بحمد الحب نلهو ونطرب
نحاكي صفار الطير تغدو وتحتمي … بعش بناه العشق يا خيره أب
وقد بات كل لا غنى عن أليفه … وهل بعد ايثاري لحبك مطلب
فقلت : لعلي في الهوى متحرز … ومن يهو مثلي ، كيف لا يتهيب
وما الشح من دأبي ، ولكنه الهوى … يهيب بشح ليس بي فارحب
أشك واصدق في هواك وساوسي … واسمع اذني عنك ما ليس يعجب
وينجاب حينا عن عيوني توهمي … ولكن ظني ليس لي منه مهرب
ففي كل صمت منك وهم يطوف بي … وفي كل ايماء غريم محجب
وبين ثنايا ما تقولين يختفي … على الرغم مني مستهام ومعجب
وفي همسات الناس خوف يقودني … الى الظن ، ان الهمس عذل مهذب

اذا الكنز نامت عنه عين رقيبة … تهم به عين له تتاهب
وانت ثرائي في الحياة وغايتي … واثمن من كل الوجود واطيب
وانت غنائي عن غنى ومطالب … وانت لمن يهواك جاه ومنصب
وانت مدار الطامعين ، كأنما … على كل كنز من كنوزك أشعب
فكيف تنام العين عنك هنيهة … ودهري واياميي عدى تترقب
فقالت : كلانا لا يرى غير الفه … فلا خوف من عين ترانا وترغب
ولو ان كل الناس القوا لحاظهم … علي لضاقت بي دروب ومذهب
وما كل مشتاق ، ولا كل عاشق … ينال الذي يهواه او يترغب
وما كل كنز ، ان غفلت ، بضائع … وللكنز مفتاح ، وللكنز صاحب
دع الكنز واخلد للامان ففي الهوى … كنوز العذارى لا تهون فتغصب

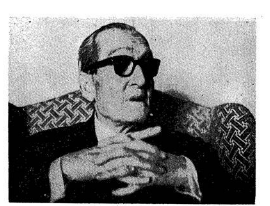
القاهرة — أحمد عبد المجيد

حين يهبط دليل الحرور الى درجة
تحملنا على التامل في حياتنا المرهقة .
فيا لهذا الفحم الذي تقلبه أيدينا
فرحة به ، كأنه الجواهر !...
أعطنا من هذا الفحم لكي نحس الدفء بحمله
وراء زجاج منزلنا الذي تصفقه الرياح
لا تعطنا عقيقا ولا جواهر مشعة
ولا نساء ولا جزاء وانما مد يدك
بالفحم وامنحنا اياه ،
ونحن في مغاور مناجمنا تحت مستوى البحار
واهتف معنا نحن العشاق البدائيين .
نحن العشاق لفحم « دورهام »

ولعمري تلك قصيدة وحيدة في معانيها ، فريدة في موضوعها ، وان دفأها ليسري في جسوم القراء منطلقا من قلب شاعرها . ولكم يخال المرء وهو في ابان صيف اذا استغرق في التأمل فتصور الثلوج ومزالقها، ولقدعدت الى نفسيعام ١٩٦٠ حين كنت بباريس فجلست يوما في متحف اللوفر الى صورة زيتية للمصور المشهور دافيد . لقد كانت الصورة تمثل ولدا ممزق الثياب قاعدا امام موقد انعكست على مزقه وصدره الوردي وعلى وجنتيه السنة النار الحمراء ، وكان وكأنه يرتجف بردا ، مادا راحتيه فوق النار . فوقفت به برهة ـ واني لاصدق قرائي في « الاديب » الاغر ـ انني شعرت فيها بقشعريرة بين كتفي اخذت منها أزرر ردائي وانا اقرقف من بردي ، وعجبت لما يصنع الفن من التأثير في الوهم والتأمل .

وكذلك فأني حين يضمني الشتاء وتصفق زجاج بيتي رياح كانون ، سأذكر هذه القصيدة للصديق الشاعر السويدي الكبير « هاري مارتنسون » مرسلا اليه التحيات من ضفاف (بردى) والى زميليه الشاعرين العظيمين « اوسترلنغ وجيرو » في ديار السويد أرض الشعر المعاصر .

دمشق — زكي المحاسني


محمود تيمور

الى «عبو» الحبيب ...

بقلم محمود تيمور

***

الناس يعجبون : كيف أذرف عليك الدمع سخيا لا ينقطع.
انه دمع نابع من صميم قلبي، ومن أعماق روحي .
للناس أن تعجب .
انهم لا يعرفون كم كنت احبك ... انت صغيري الحبيب ، بل انت حبيبي الكبير .
كنت أجتلي في عينيك السوداوين الجميلتين اللتين يشع منهما الوفاء والاخلاص والـود والمحبة ـ بهجة ايامي ، ولب سعادتي .
لقد كنت تملأ حياتي يا صغيري الحبيب ، تملأها بلطفك ، بخفة دمك ، بوسامتك ، بنباحك في اثناء لعبك معنا ، بجريك وتواثبك حولنا ، واللعبة في فمك ، تحاورنا وتداورنا في معابثات ظريفة مرحة لم نكن نملها ..
عاشرتنا اثني عشر عاما ، كانت الحياة فيها رخية معك .

حسبي ان اتطلع اليك ، الـى وجهك السمح ، فيزول ما أجده من هموم واكدار ومتاعب .
لقد كنت تجمل حياتنا وتبهجها بحسن صحبتك..
كنت لنا نعم الصاحب الامين الودود .
أين القاك اليوم يا حبيبي الصغير ، لاطبع قبلتي على جبينك الصافي ، ولطالما طبعتها في حنان وتشوق ؟..
اين القاك اليوم لاستمرىء تلك القبلة ، واستمد منها اشراقة الحياة ؟
اين القاك اليوم يا حبيبي الصغير ؟

اين القاك وقد غدوت جثمانا هامدا تحت الثرى ، بعيدا عن مرآى ، وقد كنت بالامس حركة دائبة ، ونشاطا متوثبا ، وشعلة متوقدة ؟
لا ... لست بعيدا عني ...
ستظل دائما متدانيا منـي ، احسك بجواري ، احس جسدك الغض في حضني ، اضمـه بحرارة الى ضلوعي ...
احس سعادة ليس بعدها سعادة ، وانا امرر كفي على ظهرك الاملس ، امسدك في لطف ومداعبة ، فيفتر ثغرك بالرضا ، وانت مسترخ في رقدتك ، تشعر بفيض الراحة والطمأنينة والامان .
لقد طبعت كل ركن من اركان الدار بطابعك الانيس ، وخلفت فيه اثرا بينا منك لا يمحوه كر الايام ...
هنا على هذا المتكا كنت ترقد .
تحت تلك المائدة كنت تتمدد .
في زاوية ذلك الحائط كان وعاء الماء يطفىء ظمأك .
على هذا البساط العريض كنت تتمرغ في استمتاع، وانت ترسل بين الفينة والفينـة غمغماتك المستحبة ، تعبر بها عن غبطتك .
ثم هنالك في حجرة نومنا ، تحت خوان الزينة ، يبدو مرقدك اللين تقضي فيه الليل ناعما بنوم هنيء .
انها معالم ثابتة ، تنطق بشخصيتك ، وتذكرنا بوجودك ...
وفي ساعات النهار ، لك في كل جـزء منها حيز تشغله ...
كلما هممنا بالخروج الى الشرفة ، سبقتنا اليهـا ، وجعلت تطل من بين قضبانها ، تحاول استجلاء الاطياف من بعيد ، وانت في نشطتك تهتز وتنبح .
وفي وقت طعامنا ، كنا نعد طعامك ... ان صرير الملاعق والاشواك والسكاكين والاطباق لـه اليوم رنين حزين في اسماعنا ...
وفي الاصيل ، كنت ارقب خروجك معها للنزهة ..
اقول « معها » ... واعني تلك التي منحتك كامل حنانها وحبها ورعايتها ، فأطل من النافذة اتطلع ، وانت تسير بجوارها ، تنقل خطاك الرشيقة في خفـة الظبي او قفزة العصفور .
ثم امضي الى مكتبي اعمل ... ويمر الوقت ... واحس انها ساعة عودتك ... ولا البث ان يصافح سمعي عذب نباحك من بعيد ... كانت له نغمة خاصة ، وايقاع متميز ، انفردت بهما دون سواك ... فيشرق وجهي فرحا ، وانا اناجيك ، ثم اهرع للقائك لالثمك ، واضمك الى صدري .
كنت محبا للناس ، متعاطفا معهم ، تحتمل الاساءة صابرا ولا تسيء الى مخلوق .

ليلة مولدي

قيل ان الخريف فصل عليل
يلبس الارض حلة من ذبول
بينما الصيف يملأ الكون زهوا
ويرد العليل غير عليل
بيد ان الخريف يفضل عندي
كل فصل مبارك في الفصول
كان في ليله الكئيب انبثاقي
من دجى اللاوجود والمجهول

جبيل – لبنان   شكرالله الجر

اذا دق جرس الباب ، هرعت تستقبل الزوار في حفاوة وتهلل ، وعند انصرافهم تصاحبهم الى الباب مودعا في تكريم .

وكنا اذا بارحنا الدار الى « السينما » او لقضاء شيء ، ثم عدنا لقيتنا بفرحة لا توصف ... زيطة من النباح والهرولة والتواثب والعربدة المحببة ، تحيينا بها في حب غامر ...

اما اليوم فندخل الدار فلا يستقبلنا غير الجهامة والصمت ، غير الحسرة والالم .

يا اخواني ، لا تلوموا ضعفي ، ولا تسخروا مني .. حبيبي الصغير الذي ابكيه هو رفيق عمري في اخريات ايامي ، ومؤنس وحشتي في شيخوختي ، وقد احببته كما يحب الاب طفله .

لقد آثرت ان تختفي عن أعيننا ، وانت في مكتمل خلقك ، حتى تظل صورتك الجميلة تملأ انظارنا على الدوام ...

قضيت في مجد عمرك ، واوج سنك ، نظر حاد مستوعب ، واذن مرهفة تلتقط اخفت الاصوات ، وجسم عبل يفيض نشاطا وعافية ...

اليس هذا خيرا من ان تقضي وانت في ارذل العمر ، تعتورك الاوصاب ، مهزولا تتحامل على نفسك ...

ان موتك المفاجىء الذي لم يمهلك الا اياما معدودات ، قد هزني هزة عنيفة ، وايقظني من سبات عميق . ان موتك كان بمثابة عصا غليظة دقت رأسي دقا ، فانبهتني في الم وذعر الى تلك الحقيقة الازلية التي كنت غافلا – اعني متغافلا – عنها ، وهي : « الموت » !

انه دائما قابع على مقربة منا ، قابع في هدوء ، يرقبنا بوجهه الساخر ، بالملامح الصلبة الجافية ... انه دائما قابع تجاهنا ، يعد علينا انفاسنا ... وبغتة يهب دون سابق انذار ، ويمد ساعده الاعجف ، وينشب مخالبه في اعناقنا ... ثم ينتهي كل شيء .

ما اشقى ما رأيت في ليلتك الاخيرة !...

شاهدتها « هي » تقطر الماء في فمك بالقطن ، فتلعقه انت في شغف ... كان جسمك محموما ، وكنت في حاجة الى ما يبرد جوفك .

كانت « هي » تفعل ذلك ، وقلبها يتفطر عليك ...

صرفت الليالي بجوارك ، حانية ، لا يرتاح لها جنب ، ولا يغمض لها جفن ، ودمعها على خدها يسيل ، تحاول جهدها ان تخفف عنك ، ان ترد اليك بعض عافيتك ، تحاول يائسة ان تنتزعك من براثن الموت ، والموت رابض لك لا يتزحزح .

وهكذا ضعت يا حبيبي منا ... خطفك امام اعيننا ذلك الجبار العنيد في قسوة وجبروت ...

ولكن ماذا يستطيع اي مخلوق ان يفعل امام حكم القدر ؟

هنالك احداث تصيبنا بغتة دون سابق انذار ، احداث لا تخطر بالبال ، ونسائل انفسنا : كيف وقعت ؟ ولماذا وقعت ؟ وهل وقعت حقا ؟ أم هي اوهام واضغاث احلام ؟

اننا لا نجد تفسيرا لمثل هذه الاحداث ، حكمتها مطوية في الغيب المحجب ، بعيدة عن عيوننا ، بل عن بصيرتنا ...

أيكون هذا المصير الذي حل بك ، اهون من مصير آخر ، كان من المحتمل ان يصيبك ... مصير ادهى وأمر ؟

نحن نحيا في متاهة من حجب ورموز لا نعي لها تفسيرا ...

الذي نعلمه علم اليقين هو اننا فقدناك ... تلك هي الحقيقة الناصعة ، وسواها سراب !

علينا ان نقبل مصيرنا كما هو مخطط في لوح القدر ، مستسلمين لما لا يمكن رده ...

هذا ما قالوه ... وهذا ما نردده دائما ... ولكنه قول لا يطفىء لهيب النار المشبوبة بين جوانحنا ... وان عمل على اخمادها على مهل ... نعم على مهل ... على مهل جدا ... فذكراك يا صغيري الحبيب ، ستبقى في قلبي ما حييت ، وسأحملها معي في قبري ...

طيفك الحبيب سيتراءى لي دائما يذكرني بأيامك الحلوة معي ...

لن انساك يا « بمبو » الحبيب ...
يا نجي قلبي .
يا نسمة انعش عبيرها حياتي .
الوداع يا اليفي الصغير .
الوداع ، فلن تكتحل عيناي بمرآك !

القاهرة   محمود تيمور

الوجـه الممسوح

صفـــاء الحيـــدري

بغـــداد

ولربما سأموت
وأنـــا ألملم ما تمزق من حياتي
وأعود أبني ما تصدع من كياني
وأروح أستل المعاني
مما ترسب في جناني
مـــن أحرف لـــم تكتهل
واضمد الجرح الذي لن يندمل
وأنـــا بآلامي ثمـــل
وأود ، اسكب ، ـ لو ملكت ـ بقية من امنيات
دمعـــا سخي الذكريـــات
في عالم ، متحجر ، جهم السمات
لا شيء يغريه بعقل منعزل

ولربمـــا سأمـــوت
وأنـــا أفتش عـــن سلام
عبر الدهاليز التي امضيت فيها في ظلام
ـ وأنا أحاول ـ كل يوم كل عام
عبثا معاودة الحياة على الدوام
ولكم مضيت ، مضيت ابحث عن فصول في كتاب
متجـــاوزا كـــل الصعاب
وأود لو انسل من جسدي وأنزع ما علي من الاهاب
هيهات ان طريقي المسدود أمنع من عقاب
سدت منافذه ، وسمرت الحواجز كل باب
أنـــا لاصق بالارض
بالـــدم والتـــراب

ولربمـــا سأمـــوت
وتروح تبني فوق قبري عنكبوت
بيتا ـ اذا شحت بيوت
فاذا النسيج ـ كصورتي ـ متهافت هش القناة
مثلي ـ مررت بهذه الدنيا، شحيح اللون ظلي الصفات
وطبعت فوق نسيج دنيا الناس ممسوح السمات
ومضيت لـــم اتـــرك صدى
او نسمـــة
توحي بما كانت حياتي

لو انه قال شيئا ، اي شيء ، لاسترحت . كان يجلس امامي صامتا ككتلة من حجر صلد ، على ملامحه جمود غريب ، عميق ، وكأنه احد التماثيل القديمة . وكنت احاول ان استشف ما خلف هذا الجدار ، ولكن بلا جدوى، فتصورت ان صوته ربما كان قبيحا ، او شاذا ، او حادا بشكل مزر ، حتى ليخجل ان يتكلم . وكنت اعتقد انني ربما استطعت في جلسة او جلستين معه ، ان اقف على ما اريد . كنا نجلس متقابلين ، بيننا مكتب مستطيل اسود اللون ، عليه قطعة من الجوخ الاخضر . فوقها لوح من البلور السميك الشفاف ، وكانت علبة السجاير الموضوعة على يميني . مفتوحة ولم يبق بها سوى سيجارتين .

رفعت بصري اليه ، وقد قررت امرا . الا انه ما كاد يلمح نظراتي ، حتى اشاح بوجهه ، وحاول ان يهرب . وضحكت في نفسي ، لماذا يريد ان يهرب ، وحتى اذا استطاع فالى اين ؟ لم يكن امامه الا ان يظل جالسا ، حتى آذن له بالانصراف .

قلت له بنبرة تعمدت ان تكون مسطحة ، وان كان بها ما يمكن ان يسمى بالتهديد :

ــ انت اذن لا تريد ان تتكلم ؟

نظر الي بعينيه الداكنتين ، ولمحت شفتيه تتحركان . الان يستشير نفسه . امتدت يدي الى علبة السجاير ، واخرجت السجارتين . قدمت اليه واحدة ، ووضعت الاخرى بين شفتي . كانت بأصابعه رعشة وهو يأخذها مني ، وحين اشعلتها له ، رفع يده الى رأسه يشكرني . نفثت الدخان في الهواء ، وارتكزت بمرفقي على المكتب ، وصوبت اليه نظرات حادة ثم انطلقت قائلا :

ــ اسمع ما سأقوله جيدا ، انت تعلم تماما لماذا استدعيتك ، ولقد تركتك في المرة السابقة بارادتي ، فقد قدرت أنك ربما تراجع نفسك، واقنعت نفسي بأنك ربما كنت خائفا ، او ان تهديدا ما قد نالك من احد . غير انني في هذه المرة ، لا اعتقد انني استطيع ان احتمل اكثر من ذلك ، فكما اطالبك بالكلام ، هناك من يطالبني بالتقرير ، ولهذا فأنا مضطر والحالة كذلك ، ان اتخذ ازاءك موقفا ، والا اعتبرت متضامنا معك بشكل ما . ولتعلم انني لست الا اداة ، وقد اضار ، ويجب ان يكون مفهوما ان ليس لي في الامر شيء .. هل لديك الان الاستعداد كي تتكلم ؟. سأقبل منك اي كلام ، سواء كان يحمل معنى ، او مجرد هذيان . فأنا لست مسؤولا عما



بقلم مصطفى ابو النصر

تقوله . كل مهمتي تنحصر في ابلاغه بامانة وصدق وحيادية تعلو فوق الاغراض . ساسكت الان ، جاء دورك انت ، انت الان المطالب بالكلام . وسأتحول الى آلة كاتبة لكل ما تنطق به ، ولكي تكون مطمئنا سأجعلك تقراه قبل ان توقع عليه ، وزيادة في ارضائك ، سأسمح لك بتغيير اي جملة او كلمة ترى انها قد فلتت منك بدون قصد ، او رايت ان تتراجع في الادلاء بها ، وانت تعلم ان مثل هذا سيكبدني مشقة نسخ الكلام مرة ثانية ، الا



انني سأفعل ذلك وانا راض تماما وغير برم اطلاقا ، فمن المعروف انه لا يسمح بالشطب او الكشط في مثل هذه الاوراق .

بعد أن قلت هذا الكلام، تصورت انه ربما يكون قد اهتز ، وان صمته العجيب المغلف بالاصرار لن يلبث ويتحول الى ثرثرة ربما اسأمتني ، ولكن اكتشفت انني لو كنت اكلم جدارا لنطق . وعجبت كيف يمكن لشخص كهذا ، ان يكون مشبوها . الم يكن الاحرى ان يترك حتى يقع من تلقاء نفسه . على انني لم اترك نفسي لاسترسل في الافكار . وانما فتحت الدرج واخرجت مجموعة من الاوراق البيضاء . ووضعتها امامي ، ثم اخرجت ايضا قلمي الحبر من جيب سترتي الداخلي ، وفتحته ، واتخذت وضع المستعد للبدء في الكتابة . ورفعت بصري اليه ، ورسمت على شفتي ابتسامة وديعة ، ثم قلت له :

ــ « انا مستعد الان ، هيا قل كل شيء ، او قل اي شيء » .

ثم وضعت سن القلم على الورق، وانتظرت ان اسمع صوتا هادئا ، او منخفضا ، صوتا جادا او شجاعا ، صوتا به رعشة او صوتا عاليا ، صوتا مستسخفا كلاميا او حتى صوتا فقط . ولكني لم اسمع شيئا كان الصمت تاما كاملا مطبقا ، بحيث اعتقدت للحظة ، انني ربما قد صرت اطرش ، او ان الكون قد فقد الصوت ، فلم يعد لشيء صوت .

هل كنت استطيع ان اعتبر ما حولي سكونا او هدوءا ، كذلك الذي يفاجأ المرء به حين يدخل احدى المستشفيات ؟ كلا .. كانت الريبة قد بدأت تغلف المكان كله ، على الرغم من انه ليس من الاماكن المعزولة . على العكس ، كنا نجلس في مكان صاخب ضاج ، وكنت ابرم دائما بهذه الضوضاء التي تجعلني

اعتقد ان الجحيم لن يكون في يوم ما ، الا مكانا غاصا بالبشر ، ولا يفعلون شيئا سوى اخراج اصوات شاذة او قبيحة ، حتى يتحول المكان كله الى كتلة من ضجيج .

ما بال هذا الصمت المغلق اذن.. هل فقدت القدرة على السمع ، ام ان الجميع قد صمتوا تهيئة واستعدادا لسماعه حين يتكلم ؟ ولكنه لم يتكلم ، شفتاه ـ فقط ـ ترتعشان ، يحدق فيَّ وكأنه يراني لاول مرة ، او انه لا يعي ما قلت . اذن يمكن اعتباره غبيا ، او متغابيا، وفي الحالتين ، عليَّ ان اعيد كل ما قلته من جديد ، وبطريقة افضل وابسط .

لقد بدات الان اشك في قدرتي على افهام الغير ، او التأثير عليهم فلو انني كنت بليغا ، او على الاقل أتميز بمقدرة على اقناع الغير بما اريد ، لامكن لي الان ، ان احصل على ما اريد منه بلا عناء ، وبلا ادنى مجهود . انني الان يمكن ان ادين نفسي ، وقد اكون مسؤولا عن صمته ، وفي هذه الحالة ، سأكون انا المتهم ، وستحوطني النظرات في بادىء الامر ، ثم يتردد الهمس ، ثم يزداد لغطا .

حتى اذا لم يعد من مفر ، أشارت الاصابع جميعا تجاهي ، وعندئذ لن استطيع المقاومة ، فأسقط منهارا يائسا ، وبذلك اكون قد انتهيت ، على ان النهاية، لن تكون الا الموت.. الموت الحقيقي . اذن ، فهذا الجدار ، هذا التمثال ، هذه الكتلة من الجمود هي قاتلتي .

انا الان ، اجلس امام قاتلي ، فاذا ظل صامتا ، فهذا يعني انني انا الذي سمحت له ان يقتلني . علي اذن ، ان اواجهه بالحقيقة ، فلا اظن انه يقبل ، كانسان ان يقتل زميلا له ، بدون ذنب حقيقي ، فما بالك ببريء تماما . هل يقدر موقفا كهذا ؟ اذا ساورني الشك ، فلزام علي ان اكون واقعيا ، فاقبل ما يحدث ، بغير تفكير او تقدير .

اذا كانت نظراته لي ، لا تدل على شيء معين ، واذا كانت هي مجرد نظرات جامدة ، فمن الضروري ان اكتشف ما وراءها ، حتى لا اتهم في لحظة ما بالبلاهة او غياب العقل . هل يمثل دورا ، او يضحك في اعماقه مني ؟

سأكون هزاة للجميع ، سأغوص في بحر من الهذيان ، سأموت كمدا. انطق.. لا بد ان تنطق . لتشتمني، لتسبني ، لتهتف بسقوط جميع الحكام ، لتسخر مني ما شئت ، ولكن انطق ، قل كل ما يعن لك ، ما يخطر على بالك ، ما يتراءى لك ، بالحق او بالباطل ، لتقل رايك في كل شيء ، واي شيء ، بصراحة وصدق وشجاعة .

لا تخف ، ماذا يهم ؟. هل انت خائف ، هل تتصور ان شرا يمكن ان يلحق بشخص شجاع ؟ لا تصدق هذا ، انت تعرف ، ان الجبان يموت الف مرة ، اما الشجاع فلا يموت الا مرة واحدة ، لماذا ترفض ان تموت شجاعا . هل تقبل ان يتهمك احد بالجبن ، طبعا هذا لا يعنيك ، فلتكن ما شئت ، اما انا .. ما ذنبي ؟ ما معنى ان يقضي علي بلا سبب معقول ، فقط ، لمجرد انك ترفض الكلام .

هل انذره ، اهدده، هل اصفعه، ان هذا الصامت ، يكتب بصمته نهايتي ، لا حيلة لي ، انا الان محاصر تماما ، من حولي عيون تنهشني ، واصابع تنغرز في لحمي ، ولن تلبث ان تمزقني وتلقي بي اشلاء فتدوسني الاقدام .

ـ « اسمع ، انت الان ، تضعني في مأزق ، وهذا بطبيعة الحال شيء يبدو انه يسرك او يسعدك ، غير انه لا يسرني ولا يسعدني ، فاذا كنت تفضل سعادتك ومسرتك ، لمجرد ان تتفرج علي . فقد اتخذ نحوك موقفا ستندم عليه طوال حياتك بعد ذلك ، هل تفهمني ، هل تعي ما اقول انت ترى انني اكرر كلامي ، ولا شيء عندي يقال ، ولكن اقولها ـ ولآخر مرة ـ ستذهلك مفاجآتي، سأطرحك ارضا ، وقد اقتلك . لا استطيع ان اتصور مصيري . انت الان تمسكني من رقبتي ، وبصمتك هذا تخنقني ، ستقضي علي ، فاعلم انني لا اقبل هذا اطلاقا ، واذا قبلته فسأكون مرغما على القضاء عليك معي ، لانني لا اتصور ان تعيش انت ، وقد تنعم بحياتك في يوم ما ، في الوقت الذي اكون انا فيه قد صرت عدما بسبب من غباوة واصرار لا معنى لهما » .

★

جحظت عيناه ، وخيل الي ان ثمة دموع تريد ان تطفر ، ولكنها جامدة متحجرة ادركت انه يمثل ، او انه يريد ان ينهي الموقف بشكل ما . لن اخدع ، لتكن تجربتي حازمة ، قاطعة ، انني لا اقبل ، وارفض تماما ، ان يسخر مني او اوضع في مأزق ، وليكن ما يكون . قد الام فيما بعد ، ولكن سأكون قد انطقته . وكتبت المطلوب « الغاية تبرر الوسيلة » هكذا قيل لنا ، لم اكن أومن بتلك القواعد ولكن ما حيلتي كل شيء يتحدد الان ..

★

لم اشعر بما حدث بعد ذلك . هل صفعته ؟ هل لكمته ؟ هل ضغطت اصابعي العشرة على رقبته ؟. لا ادري ولكن الذي شلني اذهلني ، انني وجدته صامتا ، لم تند عنه ادنى صرخة او صوت . كل الذي وعيته فمه المفتوح ، المفتوح تماما ، ولكن لم يكن به لسان ، كان لسانه مقطوعا .

القاهرة **مصطفى أبو النصر**



الدكتور محمد رجب البيومي

شذرات عن صاحب الوساطة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

***

يحلو لكثير من النقاد ان يصنفوا المؤلفين طبقتين طبقة العلماء وهم ارباب البحوث العلمية في الفقه والتشريع والعلوم اللسانية من نحو وبلاغة وتصريف ، وطبقة الادباء وهم أصحاب الآثار الفنية من نثر بارع الصوغ صادق العاطفة وشعر رائع المعنى دقيق التصوير، فاذا نظم العالم شعرا او ألف الاديب مصنفا علميا فقد سلك مسلك التكلف والافتعال ، وربما دعم هذا التقسيم لديهم ما يشاهدونه كثيرا من ركاكة اشعار العلماء وضحالة انتاج الادباء وهذا حق في اكثر احواله ولكنه لا يمنع ان يوجد من الموهوبين من يبرز في الناحيتين على نحو يدهش ويروع .

هذا علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة نقرأ كتابه هذا فنجد الرائع المبدع من التحليل الادبي والصوغ البياني ، مع الاستشفاف الملهم لاسرار الروح ونوازع الوجدان ثم ننتقل الى ما رواه الثعالبي وياقوت من شعره فنجد المطرب المرقص مما يملك الوجدان دقة احساس ولطافة منزع ، والرجل بعد كبير القضاة في وطنه يؤلف في الفقه والتشريع ، ويحذق اساليب الاستنباط والقياس وقواعد الاصول ذات المنحى العويص ، وتفوقه في العلم والادب معا دليل ملموس على ان الابداع في وجهة علمية لا يمنع الابداع في وجهة ادبية، فقد يوجد من ذوي المواهب الرائعة من يطير بجناحين متعادلين فيحرز قصب السبق في المضمارين المختلفين ويكون الاديب الشاعر الناقد كما يكون الفقيه القاضي الاصولي المتمكن ، هكذا كان علي بن عبد العزيز . وهكذا شهدت صحفه الباقيات ومؤرخوه الاثبات .

تلك مقدمة ذكرتها منذ زمن في حديث تحليلي عن الاديب العالم الفقيه محمد الخضر حسين ، واعود فانقلها الان في الحديث عن الجرجاني اذ هو كما يقول الثعالبي عنه في الجزء الثالث من اليتيمة « حسنة جرجان وفرد الزمان ونادرة الفلك وانسان حدقة العلم ، ودرة تاج الادب ، وفارس عسكر الشعر يجمع خط ابن مقلة الى نثر الجاحظ ونظم البحتري ، وينظم عقد الاتقان والاحسان في كل ما يتعاطاه وله يقول الصاحب :

اذا نحن سلمنا لك العلم كله   فدع هذه الالفاظ نحسن شذورها

وكان في صباه خلف (الخضر) في قطع عرض الارض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها واقتبس من انواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علما ، وفي الكلام عالما ، ثم عرج على حضرة الصاحب ، والقى بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلا بعيدا في رفعته ، قريبا في أسرته ، وسير فيه قصائد خلصت على قصد ، وفرائد اتت من فرد ، وما منها الا صوب العقل ، وذوب الفضل ، وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به احوال في حياة الصاحب وبعد وفاته بين الولاية والعطلة ، وافضى محله الى قضاء القضاة فلم يعزله عنه الا موته رحمه الله » .

هذا بعض ما قاله الثعالبي ، ونأخذ منه ان القاضي كان كثير الرحلة في صباه أخذ ينتقل في بلاد العراق والشام قاطفا اثمار المعارف في شتى حدائقها ، فلم ينل العلم سهلا رخاء في مكان واحد ، ولكنه استجاب الى نداء همته فرمت به أقصى البلاد عن كدح دائب وجهد جاهد حتى ارتوى من شتى الينابيع ، هياما بالكمال التام فيما يزاول من درس ، واذا كان صاحب اليتيمة قد قرنه بالجاحظ في نثره والبحتري في شعره وابن مقلة في خطه وفقا لما درج عليه في ترجماته من اسباغ حلل الثناء الضافية على من يحسن مكانهم لديه فقد كنا في حاجة الى تفصيل أشمل يتحدث عن أساتذته في الفقه والعلم لنرى كيف أمكن الطالب الناشيء ان يقطع طريق نضاله العلمي متنقلا من بلد الى بلد تاركا استاذا الى استاذ ، وقد حدثنا ياقوت (1) عن أخ فاضل للقاضي هو أبو بكر بن عبد العزيز بلغ درجة مرموقة في الفقه والمناظرة ، وكان اكبر من أبي الحسن ، وقد وردا معا الى نيسابور فسمعا الحديث الشريف ، وكان اتجاه هذا الاخ الى علوم الشريعة قد جذب القاضي اليه فداب على تحصيل العلوم الشرعية بوحي منه ، وهو تحصيل الكادح الدءوب الذي

١ — معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥ .

تصدر فيما بعد لتفسير القرآن الكريم ولكتابة مؤلفه « تهذيب التاريخ » وقد كان الدهر ضنينا على الدارسين حين سمح لتفسير هذا الباحث المجتهد ان يضيع فيما ضاع من كنوز .

على اننا نثق بقوة تفكيره وحسن اجتهاده لان من يترك مثل كتاب الوساطة في دنيا الادب لا بد ان يكون صاحب منهج في التأليف يصيب به شاكلة الصواب اذا اظلم الطريق ، وما تبوأ الرجل مكانه الارفع في قضاء القضاة وهو اكبر منصب قضائي لعصره الا لما برع فيه من النظر الفقهي في تدبيج الفتوى وتعليل الاحكام براعة جعلت اكثر طلاب العلم في عصره يباهون بالانتماء اليه ويفخرون بالتلمذة له ، وقد كان الصاحب بن عباد ضنينا بمدحه على الاكابر ضنا يكاد يتجاوز به حد القصد ، ولكنه ترك من الثناء على أبي الحسن ما يشير الى ان الرجل كان على ذروة من المعرفة جعلت امثال الصاحب يسارعون الى الاعتراف بما وهب من نبوغ ، واذا كان ابو الحسن من اصدقاء الصاحب وشيعته فلن تكون الصداقة وحدها مدعاة ثناء يكال ، الا اذا وجد حقيقة كبيرة تؤكده وتمليه ، على ان مثل هذه الصداقة لم تكن لتتأكد عراها الوثيقة الا عن اعجاب كبير بمواهب أبي الحسن وتبريزه في مجالي العلم والادب أسبق تبريز من لدن طلب العلم الى ان فارق الحياة ، فقد ولد بجرجان سنة ٢٩٠ للهجرة وهي بلد طيبة الهواء جيدة الفواكه والثمار وكان بها كثير من النخل والزيتون والجوز والرمان كما حفلت بأسراب الطيور وسوانح الظباء ، ومثلها في جمالها المزدهر مما يفتح عيني أبي الحسن على بهاء يرقق احساسه وجمال يسعد خياله وله من مروجها الخضراء اجمل مرتاد ومن رياضها الغناء الطف مؤنس ، لذلك كانت جرجان أثيرة لديه طيلة حياته يطوف ما يطوف في البلاد ثم يسرع الكرة اليها على شوق داع وطرب مقيم .

واذا كان ابو الحسن قد رزق الشاعرية الفذة ، فان مؤطنه الجميل قد كان احد مسارب هذه الشاعرية الى روحه ، لان قارىء ما بقي من شعره يلمس ذوقا مترفا لديه ، وولوعا بمسارح الجمال يتصباه الى مرابع الحسن ومنازل النعيم ، كما اورثته دراسته الفقهية والتاريخية عزة حصينة جعلته يترفع عن الشبهات وينأى بنفسه عن مزالق الملق والمداجاة ، وله في هذه الناحية شعر يرن في سمع الزمان ، اذ لا يزال الدارسون يكررون قوله الذائع :

يقولون لي فيك انقباض وانما   رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم   ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وما زلت منحازا بعرضي جانبا   من الذم اعتد الصيانة مغنما
اذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى   ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لي يستفزني   ولا كل أهل الارض ارضاه منعما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما   بدا طمع صيرته لي سلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي   لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أاشقى به غرسا واجنيه ذلة   اذن فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم   ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا   محياه بالاطماع حتى تجهما

وما كرر هذا القول واذيع الا لانه يلمس جرحا داميا لا يزال ينغر على مر الزمان اذ نرى الوصوليين من العلماء يتكالبون على الكبراء طمعا في عرض زائل غير حافلين بجلال العلم وحرمة الفضل ، فأكلوا اللذائذ وارتقوا المناصب بما اراقوا من مياه وجوههم في الترامي والانحدار . ولكن امثال القاضي ممن عصمهم الله بالفضل لا يستخفهم السراب الخادع بل يفضلون الظمأ في ساحة الصدق على الري في مجال الملق والمداهنة ، وقد اسكتوا صوت المطامع في نفوسهم كيلا يلحق بهم الهوان ، وهم ما تعبوا في الدراسة والتحصيل الا ليكونوا سادة مطاعين لا ليكونوا قطيعا يساق ، وكأن هذه المعاني كانت من العمق والوضوح في نفس الشاعر بحيث دفعته الى تكرارها في نظم آخر يقول فيه :

على مهجتي تجني الحوادث والدهر   فاما اصطباري فهو ممتنع وعر
كاني الاقي كل يوم ينوبني   بذنب وما ذنبي سوى انني حر
فان لم يكن عند الزمان سوى الذي   أضيق به ذرعا فعندي له الصبر
وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى   وما علموا ان الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال بابان حرما   علي الغنى نفسي الابية والدهر
اذا قيل هذا اليسر عاينت دونه   مواقف خير من وقوفي بها العسر
اذ قدموا بالخير قدمت دونهم   بنفس فقير كل اخلاقه وفر
وماذا على مثلي اذا خضعت له   مطامعه في كف من حصل التبر

وهو شعر يصل في اجواز الكرامة اعلى صليل ، وقد مهد له الدكتور مبارك (٢) بقوله : « كانت نفس القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني نفسا عالية فقد ترك في شعره صورة لنفسه الابية التي حرمت عليه طيبات الحياة ايثارا للعزة والانفة والكرامة ، وصونا للعرض من الدنس وابعادا للمروءة عن مواطن الابتذال ، وسيرى قارىء شعره عزاء له أن كان من الذين وقفت نفوسهم الابية ازاء ما يشتهون من بسطة الرزق وصولة الجاه ومن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فينقل ما نكتب عن هذه النفس الى من خلعوا نفوسهم عند باب المطامع واقبلوا على مصارع الفضل مهطعين ، لقد عزت نفس قاضي القضاة واسرفت في التصون ان كان في التصون اسراف وما زالت به تصده عن مواطن الشبهات ونطاق الريب والظنون حتى زينت له العزلة والانفراد ، وشعره في هذا المعنى من الامثلة العليا التي يعتز بمحاكاتها كبار النفوس فليقرأ اهل العلم كيف يصف نفسه ذلك العزيز الانوف » .

لم يفصح مترجمو أبي الحسن عن كثير من أحواله المعاشية وصفاته الخلقية ففاتنا ان نقف على دقائق هامة من اموره ، ولكن ما بقى لدينا من شعره يسد فراغا كبيرا في هذا المضمار ، لان الشاعر كان من الوضوح

---

٢ ـ النثر الفني جـ٢ ص ١٠ . وتعليق الدكتور مبارك من أنفس ما يقال وامتعه واحلاه .

النفسي في شعره بحيث يشف عن نفسه شفافية تصوره للعيان تصويرا مقاربا ، وامثال ابي الحسن ممن لا يحترفون الشعر احترافا تفرضه المناسبات ، وتوجبه الملابسات يصدرون فيما يقولون عن صدق يكشف الحجاب دون تلبيس ، ومما عرفنا عن طريق قصائده من صفاته النفسية ميله الخاص الى الانفراد والعكوف على القراءة آنسا بالوحدة عن ملاقاة الناس ، وهي عزلة تشي بنفاره وترفعه وشاية اضطرت الشاعر الى ان يدافع عن نفسه فيعلن ان نفوره هذا لا يدل على عقوق او جفاء وانما هو طبيعة متأصلة في قلب لا يكن غير الوفاء ، ولو حال لها مردا ما استطاع على انه في اقتصاره وابتعاده لا ينسى أوداءه ومعارفه بل يرعاهم بالغيب ، ويقضي حقوق صداقتهم حين يحين ميعاد القضاء وكانه بذلك يقضي اقصى غايات القرب على بعده معتذرا لنفوره بما ركبه الله في طبعه من انطواء لا يجد عنه حولا ، وذلك دفاع نفسي يكشف مسار الدم ونبضات العروق في قلب يقظ طلاع وقد تجلى شفافا في قوله :

ايا معهد الاحباب ذكرهم عهدي ... ودم لي وان دام البعاد على الود
ولي خلق لا استطيع فراقه ... يفوتني حظي ويمنعني رشدي
نفور من الاخوان من غير ريبة ... يعد جفاء والوفاء لهم وكدي
غذيت به طفلا فان رمت هجره ... تأبى واغرتني به ألفة المهد
كما الفت كفاكما البذل والندى ... فاعياكما ان تمنعا كف مستجدى
على انني اقضي الحقوق بنيتي ... وابلغ اقصى غاية القرب في بعدي
ويخدمهم قلبي وودي ومنطقي ... وابلغ في رعي الذمام لهم جهدي
فان انتما لم تقبلا لي عذرة ... والزمتماني فيه اكثر من وجدي
فقولا لطبعي ان يزول فانه ... يرى لكما حق الموالي على العبد

كما نجد في شعره ضيقا بالفقر وشكوى متكررة من مآسي الفاقة وهما على ما يبدو غريبان من رجل تسنم اكبر المناصب القضائية التي تدر عليه ما يرفه عيشه ويجلب رفاهيته لا سيما ان صديقه الصاحب قد أغرقه في حباء جزيل ، وكفاه مؤونة العيش بما أسدى اليه من مناصب الدولة ، ولكننا تفسيرا لذلك نرى ان هذه الاشعار الشاكية مما قيل قبل اتصاله بالصاحب واسناد ارفع المناصب القضائية لديه ، فهي تعبر عن فترة زمنية سابقة في حياة الرجل ، وأي انسان لم يتعرض لحوائج الفاقة في وقت من أوقاته فتلهمه أحر الشكوى اذا كان شاعرا يترنم بما يشتجر في اعماقه من الاحاسيس فيهتف بمثل قوله :

وبيني وبين المال بابان حرما ... علي الغنى نفس الابية والدهر
اذا قيل هذا اليسر عاينت دونه ... مواقف خير من وقوفي بها العسر

وقوله :

وقالوا اضطرب في الارض فالرزق واسع ... فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
اذا لم يكن في الارض حر يعينني ... ولم يك لي كسب فمن أين ارزق

وقوله :

اذا شئت ان تستقرض المال منفقا ... على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها ... عليك وانظارا الى زمن اليسر
فان فعلت كنت الغني وان أبت ... فكل منوع بعدها واسع العذر

وهو في قوله الاخير يصدر عن تعقل حكيم لا يتاح الا لانسان فكر في وجوه الحيل حتى أصاب فلسفة ذات تعليل وتحليل .. فاذا تركنا هذه الزفرات الذاكية في عصر الحرمان المادي لدى ابي الحسن ، فاننا نجد نظائرها في شعر الحرمان العاطفي ، وهو ما سكت مترجموه عن وقائعه التفصيلية ، فتكفلت حرارة حنينه ببثه واظهاره ، اذ اننا نرى للجرجاني هياما ببغداد لا يني يتجدد على مرور الزمن ، وهو هيام يمتد الى ذكريات عاطفية بالكرخ تعبق بنوافي الشوق وتتأرج بعبير الصبابة وهي ذكريات ما برحت تتردد حارة في أشعار الرجل . واذا كنا نعرف عنه كثيرا من التوقر في القول والاحتشام في الفعل فان اضطراره الى التعبير عن نوازعه العاطفية — وهو القاضي الفقيه — يصور غراما يعز على الكتمان ويطير بصاحبه طيرانا الى فضاء البوح والاعلان اذ يهتف بمثل قوله :

أراجعة تلك الليالي كعهدها ... الى الوصل ام لا يرتجى لي رجوعها
وصحبة اقوام لبست لفقدهم ... ثياب حداد يستجد خليعها
اذا لاح لي من نحو بغداد بارق ... تجافت جنوبي واستطير هجوعها
معاهد من غزلان انس تعاهدت ... لواحظها الا يداوي صريعها
بها تسكن النفس النفور ويفتدى ... بآنس من قلب المقيم نزيعها
يحن اليها كل قلب كانما ... تشاد بحبات القلوب ربوعها
وما زلت طوع الحادثات تقودني ... على حكمها مستكرها فأطيعها

وهي زفرة تنم عن وجد مشبوب لا محالة وتحمل فنونا من اللذات فصلها ابو الحسن في قصيدة أخرى ترف معانيها رفيف الزهر وتصدح قوافيها صداح الطير ، وفيها يقول متشوقا الى الكرخ من بغداد :

يا ديار السرور لا زال يبكي ... بك في مضحك الرياض غمام
رب عيش صحبته فيك غض ... وجفون الخطوب عني نيام
في ليال كانهن امان ... من زمان كانه أحلام
زمن مسعد وألف وصول ... ومني تستلذها الاوهام
كل أنس ولذة وسرور ... بعد ما بنتم علي حرام
فعلى الكرخ فالقطيفة فالشط ... فباب الشعير مني السلام

وهو قول عذب يذكرنا بتشبيه الثعالبي له بالبحتري لان روح الوليد تترقرق في كل لفظة من ألفاظه ، وان كان ابو الحسن من الحساسية الرهيفة بحيث يقصر البحتري عن مثل قوله :

احب اسمه من أجله وسميه ... وبتبعه في كل اخلاقه قلبي
ويجتاز بالقوم العدا فاحبهم ... وكلهم طاوي الضمير على حربي

لان البيت الاخير لا يصدر الا عن عاشق نأى به الوجد الى ابعد المطارح ولا كذلك البحتري فيما نظم من غزل قريب لا يشط الى ابعد الغايات ، على ان منهج الوليد في الشعر كان موضع الارتياح من أبي الحسن الناقد مما يعقد صلة قوية بين الشاعرين ويفصح عن مورد صاف منه يستقيان .

لقد غلب حديث الجرجاني الشاعر على حديث الجرجاني الفقيه ، وعذرنا ان كتابه في الفقه الشافعي الخاص بالوكالة متضمنا اربعة آلاف مسألة كما جاء في « طبقات الشافعية » قد فقد كما فقد كتابه الخاص

الذباب

★

ويطن ملعون الذباب يحوم حولي في السرير
وانا احاول ان انام ومنه في سمعي صرير
كيف السبيل الى الكرى بين الطنين المستثير
مهما أنش يعد الي كأنني العسل الاثير
وكأنه النحل الوفي يهيم حبا بالقفير
واذا لطمت لعلني أودي بمهجته يطير
حتى ظفرت بمضرب فاخذته اخذا قدير
وهشمت اضلعه ولم احفل بمصرعه الحقير

ورأيت في النوم الذباب كأنه الاسد المغير
في نابه الموت المؤكد والبلاء المستطير
وانا احاول ان افر ولا مفر من المصير
وجعلت اصرخ لاهثا اين المجير ؟ ولا مجير
احسبت أني لن أنالك ايها البطل الخطير
هيا وهشم اضلعي هيا ، بمضربك الكبير
قد جاء دورك فاستعد لمصرع البغي المرير

وشعرت بالكف الرطيب يهزني هزا يسير
وسمعت صوتا من بعيد سال في همس الخرير
قم يا حبيبي ، قم ، فمن أي المهالك تستجير
ماذا جرى لك ؟ هل حلمت فضقت بالحلم المثير ؟

يا رب ، كم من ظالم قد نام مرتاح الضمير
وعبيده ملء السجون وفي التراب او الحصير
وانا ، لاجل ذبابة اجد الكرى خطبا عسير

عدن

محمد عبده غانم

بتفسير القرآن الكريم . فمن لنا ان نحكم على براعة الفقيه حكما يؤيده الدليل ؟! ، ومن يدري لعل في خزائن المخطوطات العربية ما سييسر للباحث القول في ابي الحسن الفقيه اذا سمحت الايام بظهور بعض اجزائه الفقهية ، كما سمحت ببعث كثير من الكتب كنا نظنها اصبحت في ذمة التاريخ ، وقد تنفس العمر بأبي الحسن قرابة قرن كامل اذ انتقل الى جوار ربه سنة ٣٩٢ هـ على القول الراجح ، وهو ما حققه ألصق المؤرخين بحياة الجرجاني ومواقفه حيث شيع الى مقره بجرجان في احتفال مهيب مشى فيه الرؤساء والكبراء مترحمين .

الفيوم ــ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

انتاجنا الفكري بين الحربين العالميتين

١٩١٤ – ١٩٣٨

بقلم سامي الكيالي

***

١٩٢٢

ان عام ١٩٢٢ لم يتميز بصدور كتاب له قيمته وخطره سوى الطبعة الثانية من كتاب « ذكرى ابي العلاء » الذي اقبل القراء على تلاوته باهتمام . ورسالة تاريخية عن « عمرو بن العاص » للاستاذ حسن ابراهيم حسن الذي نال عليها شهادة العالمية في الادب . والرسالة صفحة من صفحات البطولة وتاريخ بطل من ابطال الشرق وقائد من قواد الاسلام لا يقل اهمية ، كما يقول المؤلف ، عن نابليون وبسمارك وغيرهما من قواد الغرب وساسته .

وصدرت بعض قصص عالمية لم يكتب لترجمتها الخلود كقصة بطل طروادة ، وهي ملخص نثري لاوذيسة هوميروس عن بطل طروادة عربها نقولا يوسف ، كما صدرت مترجمات عن شكسبير احداهما « هملت » بقلم سامي الجريديني والثانية « تاجر البندقية » لخليل مطران شاعر القطرين .. وصدرت قصة « مذكرات بغي » لمحمد رافت الجمالي . وهي تصوير دقيق لبعض مباذل الحياة في مصر ، وقد لاقت لدى الشباب رواجا كبيرا ، وطبعت في نفس العام طبعة ثانية ، وكان حظ « هملت » و « تاجر البندقية » شبه الاهمال الا من الطبعة الخاصة التي تتذوق الادب !

وصدر لخليل شيبوب ، وهو لاذقي الاصل ومقيم في الاسكندرية ديوانه « الفجر الاول » .

وكان للشؤون النسائية عنايتها من الكتاب فصدر كتاب « المراة والتاريخ والشرائع » للاستاذ محمد جميل بيهم ، كما صدر كتاب « المراة العربية في جاهليتها واسلامها » للشيخ عبد الله العفيفي . وقد تضمنت فصول الكتابين ، رغم اختلاف نهجيهما ، مباحث طريفة عن المراة قديما وحديثا ..

واصدر الاستاذ الياس الغضبان ، وهو من ادباء حلب وقد استوطن مصر منذ فجر صباه – كتاب « قانون الزواج» وهو كتاب نفيس يحتوي على مباحث سيكولوجية واسعة في نواميس الزواج الطبيعية وشروطه الصحية والفسيولوجية واغرب حوادث المتزوجين الطبيعية والطبية وآخر النظريات في تحليل الجنس .

وهناك عدة كتب ورسائل في الاقتصاد والتشريع والفلسفة وعلم النفس والدين نلمع الى اهمها :

محاضرة في الفضاء والاسلام للاستاذ عارف نكد . وكتاب علم الاقتصاد والحياة اليومية للسير بنسون استاذ الاقتصاد بجامعة اكسفورد عربه حسين نامق . « تاريخ الجمعيات الوطنية » لعبد الرحمن الرافعي تناول فيه تاريخ النهضات القومية في فرنسا وامريكا والمانيا وبولونيا والاناضول ، و « روح القومية » لمكس نوردو عربه عادل جبر ، و « التربية العقلية » مترجمة عن التركية بقلم الدكتور بيازيد ، و « تاريخ الفلسفة » لحنا اسعد فهمي ، وغير ذلك مما قذفته المطابع وابتلعته رفوف المكتبات دون ان تترك اي اثر يجدر الالماع اليه .

لقد مر ثلاث سنوات على انتهاء الحرب الكبرى ، وعادت النفوس او كادت ، الى طمأنينتها ، وخلال ذلك نشبت « الثورة المصرية » وهبت الشعوب الشرقية تطالب باستقلالها واقرار سيادتها وخلق كيانها فهل تأثر الادب بهذه الفورات القومية واليقظات السياسية ؟.

وما هي الكتب التي صدرت على صدى هذه الانتفاضات ؟

فالواقع .. انه لم يصدر كتاب واحد يعرض الى تصوير هذه الوثبات السياسية في الشرق العربي ، ولا الى تصوير مظاهر النهضة تصويرا دقيقا .. وكانما قد اكتفى الادباء بما كانوا يقراونه يوميا من المقالات التي يحبرها رؤساء تحرير الصحف بحماسة وطنية بالغة . واكثرهم من فحول الكتاب ..

ولو جمعت تلك الافتتاحيات ، في كتاب ، لوقع القراء على صور رائعة في تحليل الشعور العارم الذي هز النفوس في تلك الفترة نحو الحرية والسيادة .. وهي من موضوعات « الادب الصحفي » الوثيق الصلة بالحركات القومية التي يجدر بالباحثين ان يتناولوها بالدرس .

وفي زحمة هذه الوثبات القومية صدرت رواية « قميص من نار » لاديبة الترك خالدة اديب ترجمها محب الدين الخطيب ، وهي رواية قومية عنيفة تصور نهضة الاتراك وثورتهم الدموية عقب الحرب الكبرى وبعد احتلال استانبول .. ثمة رسالة عن « سيرة مصطفى كمال » بقلم امين سعيد وكريم ثابت .

اما في النواحي الادبية فهذا هو محصولنا خلال هذا العام :

صدر كتاب « الفصول » للاستاذ عباس محمود العقاد ، وهو مجموعة ما كتبه في الصحف والمجلات من مباحث ودراسات ادبية قيمة ، وقد اقبل عليه الادباء يقراونه باهتمام بالغ .. كما صدر ثلاثة كتب للانسة مي وهي « ظلمات واشعة » و « سوانح فتاة » و « المساواة » والكتاب الاخير من القيمة بمكان ، فقد بحثت فيه الكاتبة الموهوبة اظهر مشاكل القرن العشرين فعرضت الى الاشتراكية والفوضوية والارستوقراطية بكثير من التوسع والدقة والراي الرجيح ، وبنزعة انسانية وشعور مرهف في معالجة هذه القضايا المعضلة الشائكة في تلك الفترة ، وقد استقبله الادباء بالترحاب ، وعقد اكثر من كاتب عدة فصول متتابعة عن هذا الكتاب ، وكانت اوسع البحوث

والمقالات البحث الذي عقده الامير شكيب ارسلان في مجلة « المجمع العلمي العربي » (المجلد ٤ ج ١٢) .

واصدر شاعر النيل حافظ ابراهيم الجزء الثاني من رواية « البؤساء » لفيكتور هوغو ، وكان قد صدر الجزء الاول قبل الحرب الكبرى ، وتوفي الشاعر دون ان تتم ترجمة هذا الاثر ، وقد اخذ عليه النقاد فرط عنايته بالصياغة اللفظية عناية دفعته ان يتصرف بالترجمة تصرفا اخل ببعض فصول الرواية ، وبهذه المناسبة نقول ان المرحوم طانيوس عبده قد نشر ترجمة كاملة لهذه الرواية ولكن لم ترتفع الى مصاف الكتب الادبية بل ظل مستواها بين الكتب الروائية الرخيصة .

وصدر كتاب « من والد الى ولده » للاستاذ احمد حافظ عوض ، وهو من شيوخ الصحافة المصرية وصاحب جريدة « كوكب الشرق » ، والكتاب رسائل توجيهية مشرقة الاسلوب كان يرسلها الى ولده جمال الدين الطالب في الجامعة الامريكية ببيروت ، وهي تتضمن نصائح ثمينة في اختيار المهنة والسلوك وتعلم اللغات وما الى ذلك من الآداب الخلقية والنصائح السلوكية .

كما صدر كتاب « العواصف » و « البدائع والطرائف » لجبران خليل جبران وهما يتضمنان نفحات شعرية من الادب الرمزي ، وجبران ، الى شهرته بمعالجة قضايا الحياة عن طريق القصة ، فهو من ائمة الادباء الرمزيين ، وطريقته اقرب الى الرمز والى الصوفية منها الى اي لون آخر ...

وصدرت دراسة ممتعة عن « ابي الطيب المتنبي » : حياته وخلقه وشعره واسلوبه بقلم محمد كمال حلمي ، اثنى عليها المستشرق الافرنسي بلاشير بتحفظ ، ويظهر ان النسخ المطبوعة من هذه الدراسة قليل جدا ، فلم تكد تظهر حتى اختفت ، وفي روايته ان المؤلف تقدم بها الى الجامعة المصرية لنيل درجة العالمية ولما لم يوفق طوى الكتاب .

لقد وقع بيدي هذا الكتاب وانا في اول نشأتي الادبية فقرأته باعجاب ، ثم افتقدته ، ولم اعثر عليه في المكتبات ، ولا اعلم شيئا عن مؤلفه ، فقد يكون من موظفي الدواوين في مصر ، وهو من المولعين بالمتنبي وشعره فكتب كتابه هذا الذي انطوى وانطوى معه ذكر مؤلفه !

وصدر كتاب « سر النجاح » ليعقوب صروف .
و « نبضات الفؤاد » لفؤاد صروف .

ونشر المستشرق الانكليزي مرغليوث كتاب « جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة » عن نسخة خطية في باريس ..

وترجم الدكتور طه حسين كتاب « روح التربية » لغوستاف لوبون ، وصدر عن دار الكتب المصرية كتاب « اساس البلاغة » للزمخشري ، كما صدر كتاب « ادب الكتاب » للصولي ، وعن حيدر اباد الدكن كتاب « كيف يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» لابي نصر الفارابي، و « الالفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية » للشيخ محمد بن شنب استاذ الادب في جامعة الجزائر .. وله ايضا « ابو دلامة الشاعر الهزلي في بلاط الخلفاء العباسيين » وهو بالافرنسية .

فاذا تركنا الافق الادبي الخالص نجد في رحاب الدراسات التاريخية كتاب « حياة صلاح الدين الايوبي » للدكتور احمد البيلي ، وهو كتاب قيم نال عليه لقب دكتوراه من الجامعة المصرية ، وقد المع الدكتور طه حسين الى قيمة الكتاب بقوله :

« اظهر الدكتور البيلي في هذا الكتاب وجها من وجوه الشخصية المصرية التي حمت الحضارة مرات ، فعصمت حضارة اليونان وفلسفتهم من الضياع ، وصدت غارات الصليبيين عن الشرق واهله ، فاستبقت الحضارة الاسلامية حياتها وقوتها ، ثم ذادت التتار عن هذا العالم الاسلامي ايضا ، وكانت آخر معقل اوت اليه آثار المسلمين العقلية والادبية فظلت فيه آمنة حتى اتيح لها هذا العصر الذي نحن فيه والذي اخذ يبعث فيها القوة والحياة » .

وصدر تاريخ « محمد علي » لالياس الايوبي الذي ظفر بجائزة عنه من الملك فؤاد ، وصدرت رسالة صغيرة للاميرة قدرية حسين عن « ملكة قرطبة » وترجم الاستاذ فؤاد صروف « مذكرات سفير اميركا في الاستانة » ، ونشر كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » لابي الريحان الخوارزمي البيروني، وسبق ان طبع هذا الكتاب في ليبسيغ سنة ١٨٧٦م ، وصدر في سان باولو كتاب « بواعث الشجون في رثا فرح انطون » ، وكتاب « تاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا » للدكتور محمود عزمي . وتاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥ – ١٩١٠ لتيودور ورنستون وترجمه عن الانكليزية الاستاذان عبد الحميد العبادي ومحمد بدران ، وتاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٩ في جزئين كبيرين لالياس الايوبي ، و « سر توسع اوروبا الدولي » لعبد الرحمن زهدي ، و « حقيقة الحرب العالمية الاولى » تعريب احمد شكري ، و « الحملة المصرية .. او من باريس الى صحراء التيه » الفه بالتركية علي فؤاد بك ونقله نجيب الارمنازي ، و « السياسة الدولية » نقله عن الانكليزية الدكتور عبد الرحمن شهبندر وهو في منفاه في جزيرة ارواد .. و « الحالة الدولية في سورية » لاحسان الشريف وهو اطروحته التي تقدم بها الى جامعة السربون ، تحدث فيها عن حالة سورية وتاريخها قبل الحرب الاولى واثناءها وبعدها وخلال عهد الانتداب الافرنسي ، و « سورية ملتقى الامم » لهنري ماميسيه تعريب سليم شهاب ، و « الرحلة الاولى للبحث عن ينابيع البحر الابيض » لسليم قبودان .

هذه اهم الكتب التي صدرت في عام ١٩٢٢ فاذا استثنينا ما اصدره اساتذة الجامعة المصرية خلال عام ١٩٢١ رأينا انتاج هذا العام اكثر قليلا من العام الذي سبقه .

فما الذي جد في العام ١٩٢٣ من المؤلفات الجديدة ؟

حلب — سامي الكيالي

الى نــازك

بصرخة أتيت يا صغيرتي الى الحياة
بصرخــة
ضاق بك الزمان .. المكان ..
ليس يا صغيرتي سواه ..
أتيت .. قد أتيت يا صغيرتي ..
صرخت .. أي شيء في البكاء ؟
ماذا عساه .. ؟!
لا الليل لملم ستره
لا الجوع قلّم ظفره
لا الري فجر نهره
مــاذا عساه ؟

اكوام آه في الطريق ..
وعلى شفاه العابرين
تساؤل .. لمن الحياة ؟
الناس جلهم حيارى
الناس جلهم سكارى
يبنــون !!
لكن بالمعاول يا صغيرتي
يبنون دارا !! يشدون .. !!
لكن في نشيد الموت
افــواه تبــارى ..

أواه يــا صغيرتي
يا غرسة اوراقها تهتز في يدي
اخشى عليك يا صغيرتي يومي
اخشى عليك من غدي
الريح .. الطوفان .. البركان ..
كل الوان الشقاء المرعد
حتى الاماني يا بنيتي
رؤى سراب ضائع نزق الخطى
حتى الاماني .. في حياة الناس
وجه خادع كئيب ..
شمسها ما ان تطل يا صغيرتي
حتى تلوذ للمغيب ..

بنيتــي ..
يا (أنت) .. يا (انا)
يا ضيفنا الجديد ..
عيناك .. والدموع فيهما ..

ماذا تفيد .. ؟!
الدمع يا صغيرتي وسيلة لا تفهمها الحياة
الضعف ..
ليس غير الضعف شيئا يسكر القساة
لا تــذرفي ..
لا تضعفي ..
وفتحي عينيك فالضباب خانق عنيد
صغيرتي ..
كانت جاء الناس .. كل الناس ..
في عالم مبعثر الاوتار والاحساس ..
تخيلوا الحياة جنة ..
تمــور بالاجناس ..
تخيلوا .. وفي ركام الوهم
ماتت الاحلام .. جفت الاعراس
النور .. أي نور يبصرون
غير نار تكتم الانفاس ..
تحرق الانفاس
ستعبرين الدرب يا صغيرتي ..
ستزحفين .. ستركضين
ستلهثين عبر الدرب مثل اللاهثين ..
ودمعك المجنون يا بنيتي
وصوتك الحزين
وحلمك السراب .. كالضباب ..
يرتمي في زحمة الامواج بالاعماق
لتنتهي الاعمــاق ..
بنيتــي ..
يا من ولجت عالما مشوه الصور
وانت تعبرين الدرب
في مسيرة القــدر
تمهلي .. لا تعجلي ..
فالدرب يا صغيرتي ينوء بالحفر
ترفقي .. ترفقي
فليس في نهاية الطريق من ممر ..
ستقطعين الدرب شئت ام ابيت
يــا بنيتــي ..
ستنكفي الاقدام
ينطفي الاثــر ..
((لا بد من صنعاء وان طال السفر))

سعد البواردي



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

استاجر شقة

ويقولون : استاجر فلان شقة (بضم فتضعيف) في حي البقعة بالقدس . والصواب : استاجر شقة (بكسر فتضعيف) ، كما اختارها مجمع مصر في الجدول رقم ٣ لتدل على جزء مستقل من اجزاء الطبقة في البيت أيا كان . وقد استعمل لمثلها في بلاد الشام الجناح .

ومن معاني الشقة (بكسر الشين) أيضا :

١ ــ الشظية ، أو القطعة المشقوقة من لوح او خشب او غيره .
٢ ــ نصف الشيء اذا شق . ومنه شقة الشاة وشقها .
٣ ــ الناحية .
٤ ــ البعد . ويجيز الصحاح أن تعني السفر البعيد أيضا .
٥ ــ المشقة تلحق الانسان من السفر . جمعها شقق (بضم الشين) ، وشقق (بكسر الشين) .

أما الشقة (ضم فتضعيف) فهي :

١ ــ نوع من الثياب . والجمع : شقاق (بكسر الشين) وشقيق (بضم ففتح) .
٢ ــ السفر الطويل ، ٣ ــ المسافة ، ٤ ــ البعد .

قبض على الشقي

ويقولون : قبض الشرطي على فلان الشقي . وفلان من الاشقياء ، مطلقين كلمة (الاشقياء) على القتلة واللصوص . والصواب : قبض الشرطي على فلان المجرم أو الجاني ، لان الشقاء يعني الشدة والبؤس، وهو نقيض السعادة .

تشكلت الوزارة

ويقولون : تشكلت الوزارة . والصواب : تألفت الوزارة ، لان معنى :

١ ــ شكله فتشكل (بتضعيف الكاف) : صوره فتصور (بتضعيف الواو) .
٢ ــ تشكل العنب : اسود ، وأخذ في النضج .
٣ ــ تشكل الامر : التبس .
٤ ــ تشكلت المرأة : تدللت .
٥ ــ تشكل بموضع كذا : تلبث .

شك بنجاحه

ويقولون : نشك بنجاح فلان . والصواب نشك في نجاحه ، لان الفعل (شك) يتعدى ب (في) ، لا ب (البـاء) . راجع الآية ١٠ من سورة ابراهيم .

شك الابرة

ويقولون : شك الابرة في النسيج . والصواب : شك النسيج بالابرة ، يشكها (بضم الشين) ، شكا . قال عنترة في معلقته :

فشككت بالرمـح الاصم ثيابـه ... ليس الكريم على القنا بمحـرم

المشلح

ويطلقون على الثوب الذي يغطى به العنق اسم مشلح (بفتح فسكون ففتح) . وهي كلمة عامية . والصواب: مشل (بكسر ففتح فتضعيف).

أصيب بالشلل

ويقولون : اصيب شق (بكسر الشين) بدنه الايمن بالشلل . والصواب: أصيب شق بدنه الايمن بالفالج ، لان الشلـل يبوسة في اليـد لا في الجسم ، بينما الفالج هو : استرخاء أحد شقي البدن .

جلس الى شمال القاضي

ويقولون : جلس فلان الى شمال (بفتح الشين) القاضي . أي : الى يساره . والصواب : جلس الى شمال (بكسر الشين) القاضي .

أما الشمال (بفتح الشين) فهي النقطة المقابلة لنقطة الجنوب (بفتح الجيم) ، ويجوز أن تكسر فيها الشين .

الشمسية

ويقولون : لا يمشي فـلان في فصل الشتاء الا حامـلا شمسيته . والصواب : حاملا عالته لحمايته من المطر ، او مطريته كمـا اطلقها مجمع مصر في الجدول رقم ٧٢ .

وأبقى المجمع كلمة شمسية مع كلمة مظلة ، لما تقي حاملها من الشمس ، وذلك في الجدول رقم : ٧٣ .

اما الظلة فقد اطلقها مجمع مصر في الجدول رقم ٧٥ على ما يسمى بالتندة ونحوها ، وعلى الظلل الكبيرة التي يفرسها الناس على سيف البحر في الصيف ، والظلة (بظاء مضمومة ، ولام مضعفة) .

الشهب

ويخطئون من يجمع الشهاب (بكسر الشين) على شهب (بضم فسكون). وهذا الجمع صحيح ، اذ قال صاحب التاج : وجوز بعض فيه التسكين تخفيفا . والشهاب (بكسر الشين) : هو الكوكب الذي ينقض بالليل. (راجع الآية ١٠ من سورة الصافات) .

ويجمع شهاب (بكسر الشين) أيضا على شهب (بضم فضم) ، وشهبان (بضم فسكون) ، وأشهب (بفتح فسكون فضم) ، الـذي قال ابن منظور عنه : واظنه اسما للجمع .

والشهب (بضم فضم) : هي النجوم السبعة المعروفة ، وهي الدراري .

توفي الشهيد واستشهد فلان

ويقولون : توفي (بضم فضم ففاء مضعفة) الشهيد فلان واستشهد (بالبناء للمعلوم) فلان في المعركة . والصواب : استشهد (بالبناء للمجهول) فلان ، فهو مستشهد (بضم فسكون ففتح فسكون ففتح) ، او أشهد (بضم فسكون فكسر) فهو مشهد (بضم فسكون ففتح) ، لانه لا يتوفى الا الحي ، وليس من المعقول ان يسمى الانسان شهيدا ، وهو حي .

أما الفعل استشهد (بالبناء للمعلوم) فمن معانيه :

١ ـ استشهدت فلانا على فلان : اذا سألته ان يشهد ضده .

٢ ـ استشهدته : طلبته ليشهد في المحكمة . وقد جاء في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة : واستشهدوا شهيدين .

٣ ـ استشهد ببيت الشاعر : أتى به شاهدا على صحة رأيه .

وقد وردت في التاج واللسان جملة : (استشهد بقوله تعالى) مرارا ، وان لم يرد الفعل (استشهد) متعديا بالباء عندما بحث الفعل (شهد) في التاج واللسان والمصباح والاساس والقاموس والصحاح ومتن اللغة. وذكر أقرب الموارد : استشهد به : استعان به في أمر الشهادة .

اشهر السيف

ويقولون : اشهر السيف . والصواب : شهر (بفتح الهاء) السيف يشهره (بفتح الهاء) شهرا (بفتح فسكون) : سله (بتضعيف اللام).
وفي الحديث : ليس منا من شهر علينا السلاح .

وجاء في الاساس : شهر سيفه : انتضاه ورفعه على الناس .
اما الفعل (اشهر) فمعناه :

١ ـ أشهر القوم : اتى عليهم شهر ، او دخلوا في الشهر .

٢ ـ أشهرت المرأة : دخلت في شهر ولادها .

٣ ـ أشهرت فلانا : استخففت به وفضحته .

شـوال

ويطلقون على الوعاء المعروف اسم شوال (بكسر الشين) ، مقتربين من لفظه الاصلي بالفارسية جواله (بالجيم المنقوطة بثلاث من تحت) ، والتي تلفظ مثل : تش (بتسكين التاء) . والصواب : الجواِلق (بكسر الجيم واللام) ، أو الجوالق أو الجوالق (بضم الجيم فيهما وكسر اللام أو فتحها) .

وجمعه : جوالق وجواليق (بفتح الجيم وكسر اللام فيهما) .
وربما قالوا : جوالقات (بضم الجيم وفتحها وكسر اللام) ، ولكن سيبويه أنكر هذا الجمع . وانفرد الفيروز أبادي بأن أورد في محيطه جمعا رابعا ، هو : جلق (بكسر الجيم واللام المضعفة) .

اشتاق لـه

ويقولون : اشتاق له . والصواب اشتاقه أو اشتاق اليه (يتعدى بالحرف تارة وبنفسه أخرى) ، فهو مشتاق وشيق (بفتح فياء مكسورة مضعفة) .

حديث شيق

ويقولون : حديث شيق (بفتح فياء مكسورة مضعفة) . والصواب : حديث شائق ، اي : داع الى الشوق ، وانا مشوق اليه . أما كلمة شيق فمعناها : مشتاق ، ولا يمكن أن يكون الحديث مشتاقا . وقد قال المتنبي :

ما لاح برق ، أو ترنم طائر   الا انثنيت ، ولي فؤاد شيق

امرأة شيباء

اذا كان الرجل أشيب ، فالمرأة ليست شيباء ، بل هي شمطاء . وهو شائب أيضا . اما الشائبة فهي العيب والدنس . جمعها : شوائب .

المشائخ

لكلمة (شيخ) عدة جموع ، منها : شيوخ ، وأشياخ ، ومشيخة (بفتح فسكون ففتح) ، ويجمعون تلك الجموع على مشائخ . والصواب : مشايخ .

مشين

ويقولون : فعل مشين (بضم فكسر) . والصواب : فعل شائن ، لان الضاد ليس فيها الفعل (أشان) ، بل فيها الفعل : شان يشين شينا (بفتح فسكون) : ضد زان . واسم المفعول منه مشين (بفتح فكسر).

أصبح الصباح

ويقولون : أصبح الصباح . والصواب : وافى الصباح أو حل الصباح، لان معنى أصبح : دخل في الصباح ، وليس من المعقول ان يدخل الصباح في الصباح . ومن معاني أصبح :

١ ـ دنا وقت دخوله في الصباح .

٢ ـ أصبح بالصلاة : صلاها عند طلوع الصبح .

٣ ـ صار .

٤ ـ أصبح القوم : استيقظوا ، وذلك في جوف الليل (مجاز).

٥ ـ أسرج المصباح .

٦ ـ يقال لمن ينبه من سنة الغفلة : أصبح ، أي : انتبه وأبصر رشدك (مجاز) .

صباحا مساء

ويقولون : يزورني تميم صباحا مساء . والصواب : يزورني تميم صباحا ومساء ، بنصب الصباح والمساء كليهما على الظرفية الزمانية ، لاننا اذا حذفنا الواو ، أصبحت الكلمتان حالين مركبتين مبنيتين على الفتح، ووجب علينا أن نقول : يزورني تميم صباح مساء . وقد قال شوقي في رثاء الشهيد الليبي العظيم ، عمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء   يستنهض الوادي صباح مساء

ومن الاحوال المركبة ، قولنا :
تطير الطائرات ليل نهار (ببناء الكلمتين الاخيرتين على الفتح) .
وقولنا :
يا سر جاري بيت بيت (ببناء كلمتي « بيت » على الفتح) .
أي : بيته يلاحق بيتي .

امرأة صبورة أو حسودة

ويقولون : امرأة صبورة أو حسودة . والصواب : امرأة صبور او امرأة حسود ، لان (فعول) هنا بمعنى (الفاعل) ، وذلك لوجود الموصوف . ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى (عدوة) ، اذ قالوا : فلانة عدوة الله . أما اذا كان الموصوف غير معروف ، فمن الواجب التفريق بالتاء بين المذكر والمؤنث ، كقولنا : الصبورة تفوز في معركة الشقاء .

صيدا ـ لبنان   محمد العدناني

حكاية الحنان في السمر

فـوزي عطـوي

•

وقيل : مستحيل
لحبنا .. لحبنا الجميل ،
وليس في هواك مستحيل !

وبعد ، يا نجية الوتر ،
ويا حكاية الحنان في السمر ..
وبعد ، ما اقول ؟
لورد خدك المنمنم الخجول
لقبلة بثغرنا تجول ،
لرعشة بطيئة .. تطول ..
كأنها المـدى ،
كأنها تثاؤب الندى
بجفن زهرة الحقول ..
وقصة ، لحبنا ، تطول ..
وبعد ، مـا أقول
وكيف أحمد السماء ..
لانني وجدت في البشر ،
حكاية الحنان في السمر ؟!

وبعد ، ما يهمني ان قيل
بأن حبنا الجميل مستحيل ،
ونحن في ودادنا الاصيل
نقنع بالكثير والقليل ..
ما همنا ان قيل مستحيل ..
وحبنا يضج بالامل ،
ويزدع البريق في المقل ..
وكيف حبنا الجميل مستحيل ،
وشعرنا حكاية الغزل ،
وعمرنا يموج بالقبل ..
ما همنا ، نحيا على امل
أو أننا نحيا بلا امل ؟!

•

وبعد ، مـا أقول ،
مسفها لكل ما يقال ؟
أحب فيك الغنج والدلال ،
أحب فيك الطهر والجمال ..
وكل مـا يقال
عن حبنا المحال ،
محـال !!

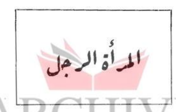
كان أبي صيادا ، يحب الصيد والبحر، ويخرج تحت جنح الليل ، ويسبح بقاربه الصغير فوق صفحة النيل الخالد وطوال عمره لم يمارس الا الصيد ، ومع الصيد حكايا كثيرة عن عرائس البحر وجنياته ، ثم خبرة دقيقة بالوقت والتوقيت فكان بمجرد نظرة الى قبة السماء الزرقاء المرصعة بالنجوم اللامعة يقول لك الساعة الان : كذا الا ربعا او ثلثا .. الخ .

وكان رحمه الله وغفر له واجزل له الثواب في دار الخلود يحكي كثيرا عن الجنية ذات الشعر الذهبي الطويل جدا ، والوجه الابيض الذي يضيء في عز الظلام مثل سمكة سقط عليها شعاع الشمس ، ويقول عنها انها كانت عريانة كما خلقت ، تتسلق مؤخرة القارب فلا يأبه لها ، ولا يرتعد منها مثل الاخرين ، ويقول انه لم يخف منها قط بل انه ـ كما حكى لي ـ أسرها بحبه ، وكان يقيدها لتظل بجواره طول الليل ، تؤنسه في وحدته ورحلته عبر السواد الموحش في ليل طويل .

واخبرني ان الخوف لم يعرف طريقا الى قلبه طيلة عمره . ومن ثم فقد استأنس الجن وسار في طريقة لا يهتز قلبه ولا تتقلص عضلات وجهه ولا ينكمش على نفسه . وكل هذا جعل غناءه صافيا يشق الفضاء الخالي ويتجاوب مع نقراته بالعصا على سطح القارب في انسياب موسيقي اخاذ .

بيد انني سمعت الناس يقولون « الولد لابيه » « ومن شابه أباه فما ظلم » والحقيقة انني تحيرت في فهم هذا الكلام وامثاله او بمعنى اصح لم استطع تقبل شيء منه لانني وقد نيفت على الخمسين من العمر لم احقق شيئا استحق عليه ان اكون لابي واشبهه ، ولعلكم الان تسألونني لماذا ؟ وكيف ؟ وانا بدوري اسأل معكم والح في التسآل . صحيح لماذا لست لابي ولست شبيها به .

يبدو ان صحة الامثال قد تحطمت على يدي . وصحيح ايضا انني أشبه ابي في بعض الصفات الجسمانية او اغلبها على الاصح ، فأنا كبير الراس نوعا ، ممتلىء الجسم في شيء من الاستدارة يشبه الاسطوانة ، وعيناي بارزتان الى الامام . اما انفي فهو اقرب ان يكون افطس من ان يكون دقيقا ، وكذلك الفم فهو عادي لا شيء فيه يثير الملاحظة . واختلف عن والدي في الوجنتين اللتين كانتا تشبهان ثمرة



بقلم حلمي محمد القاعود

طماطم ناضجة فقد تحول لونهما عندي الى لون أصفر بفعل الزمن يضفي شحوبا على هيئتي لا يخفي ! ذلك ما اذكره بالتحديد من اوجه الشبه والاختلاف بيني وبين المرحوم والدي . واظن انه من المناسب ان اذكر لكم ان ملابسه كانت مثل ملابسي تماما اللهم الا ذلك الاعتناء الواضح بجلبابي وطاقيتي وحرصي على ان يكونا في نقاء الفضة وبياض النور .

وكان ابي يتميز بشيء فريد لم يتوفر لي قط منذ ولدت حتى ساعتي هذه وربما لم يتوفر لاحد غيره في قريتنا العتيدة . هذا الشيء الذي كان معروفا به لدى الجميع وهو انه كان ضاحكا ابدا حتى في اشد ساعات الحزن كان يضحك من الاعماق . مات أبوه الذي هو جدي فبكى اعمامي ، ولكنه ضحك وقال هم السابقون ونحن اللاحقون ، ومضى يأكل بنهم ، ثم حلق ذقنه ، وراح يجلس على المصطبة واخذ يحكي عن طرائف اللحادين مع الموتى !



والمفارقة العجيبة انني اضحك كثيرا مثله واجعل الناس يقعون على ظهورهم من الضحك حين احكي لهم ما ارى ويقع لي في سوق المدينة الكبير . وخلال ضحكاتهم الرنانة لا اجد في قلبي أي أثر او اهتزاز ، صحيح ان شدقاي ينفتحان واقهقه مثل بقية الضاحكين ولكن قلبي لا يحدث به اقل انفتاح ...

وما بالي اشغلكم بالحديث عن ابي وحكاياه . الم يصبح في خبر كان ؟ الم يصبح اليوم وعلى لساني ذكرى تمر كلما اشتد بي الاسى وعربد في صدري الارق ؟ الاسى والارق لا يفارقانني وهذا ما يقلقني في ايامي هذه ، تصوروا ان مصدرهما امراة .. اي نعم امراة ضخمة الارداف والاكتاف ، معصوبة الراس بمنديل يميل الى الزرقة الداكنة ، تلبس جلبابا اسود فضفاضا ، تبحلق بعينيها الواسعتين السوداوين في الناس فتثير الرعب القاتل .. ولمراها فانني ارتعد وكذلك كان من يشتري ويبيع في سوق المدينة يرتعد مثلي كل التجار زملائي يرتعدون ولان شعرها قصير فقد اطلق عليها الناس « الرجل » نعم « الرجل » ولا فخر . فهي اذا لطمتك بيديها الثقيلتين فسوف تجعل صفحة وجهك مثل وجه المرحوم ابي الذي كان يشبه ثمرة الطماطم الناضجة . واذا عرفت اننا معشر التجار

نفترس الارض ونكوم فوقها غلالنا من قمح وارز واذرة فسوف تعرف انها « رجل » بالاضافة الى ما سبق .. اذا رايت اكوامنا وقد ضاعت بين ارجل المشاة فسوف تعترف بانها رجل حقا . حين تميل وتفرق من اكوام الغلال وتمشي بسلام فهذا يوم عيد بالنسبة لمن اخذ منه.

ولا تفكروا ان احدا يعترض ويقول هذا ملكي وتجارتي ، فانها تستطيع ان تلقنه درسا لا ينساه ابدا . يكفي ان تلطمه ثم يسبح كومة واكوامه في ارض السوق المزدحم وحدث عن الخسارة ولا حرج .. وذات يوم قلت لنفسي : لماذا لا تتجرأ . وتبادل اللطمة باللطمة ؟ سيقولون عنك شجاع ! اي والله شجاع ؟ وسيقولون الولد لابيه .. فقد كان ابوه يأسر عروس البحر ، ويقيدها حتى تنتهي ليلة ، مثيرة من الصيد في جوف الظلام ! من يدري .. لعلك تصبح بطلا ، ولكن .. كلا .. فالامر جد مختلف .. اريد ان ابيع واريد من يشتري واريد ان اعود الى قريتي في المساء حاملا شيئا يفرح الصغار ويرضي الكبار ويغري بالانتظار .. اذا ماذا افعل .. علي ان اختار .. وهل اذا لطمت لطمتي ، فهل سيتوقف تبادل اللطمات ؟ وهل هي وحدها حتى اقدم على خطوتي؟

اظن لا .. زميلي المسكين الذي بجواري ويمتهن حرفتي يهمس في اذني محذرا .. القرود تستعد للقفز اياك ان ترفع راسك .. فضربة سكين قد تؤدي الى .. النهاية « وينساب صوت المسكين في اذني يحذرني .. يلفني بسوط من القلق والتردد .. واردد قهقهة عالية واقول للمسكين : فلتخفض رؤوسنا ولترفع ايدينا ولندفع بالتي هي احسن .. سوط القلق يجلدني بضراوة ، ولا اجد ما انفس به عن نفسي سوى ان افتح شدقي واروح في ضحك عال يحسبه الجاهل من اعماق القلب ، ولكنه لو درى الحقيقة لعلم انها الفاجعة.

سألتني زوجتي وانا اتأهب للنوم:

ــ هل لطمتك المراة الرجل ؟

سؤالها يتردد كلما لاحظت علي شرودا وقلقا . تمتمت وارتعش القلب في خافقي وقلت متجاهلا :

ــ اريد ان انام ..

وتأبى الا ان تنكأ الجرح فتعيد سؤالها ثانية .. رددت في اقتضاب:

ــ لا ... ثم اردفت قائلا : وهل تحسبيني اقع تحت يدها . « معروف الغلباوي » كله يتعرض له مخلوق على وجه الارض ؟ هيء ..هيء.. انني بمجرد انافتحعيني واكثر تكشيرة جامدة والوح بقبضتي في الهواء فان من تحدثه نفسه بسوء يخر صريعا من تلقاء نفسه .. نامي .. نامي يا أعز زوجة هداك الله .

وسمعت صوتها وهي تبلع ريقها وتزوم في شيء يشبه المضض .

ــ طول عمرك غلباوي بالكذب .. صدق من سماك « غلباوي » نم انت وكفى كلاما .

واحسست بعد قليل بتنفسها العميق .. لقد راحت في سبات ، بينما بقيت اغمض عيني في الظلام وافتح اخرى .. حتى كللت واسترجعت ما كان وما سيكون .. قالت لي المراة الرجل ذات يوم :

ــ هي يا غلباوي تتزوجني ؟ والا ...؟

صعقت وشهقت وزفرت ولكني داريتها قائلا :

ــ يا ليت ..

ــ البنت (تقصد زوجتي) تطردك من الدار .

ــ عيب .. انا معروف .. ومعروف الغلباوي يا ست ؟

ولكنها اطبقت علي بيديها تريد خنقي في عملية تحذير قائلة :

ــ اسكت يا خنوع .. دا كلام .. ومالت على الاكوام وغرفت ما ارادت من الارز والقمح ثم مضت وهي تقول :

ــ ولد غلباوي .. خرع .. ابن.

ورايت رجل الشرطة يجري في اثرها ويقول : يا ست .. كرمك يا ست .. انا طامع في كرمك يا ست .. نظرة واحدة فقط لهذا الولد الغلباوي .. انه يتيم بن يتيمة . وضحك .. انه ابن عمتي .. لديه اورطة عيال .. لاجل خاطري .. اعفيه من الدين .. ونحن محاسيب يا ست ..

ونظرت اليه نظرة ذات معنى قائلة :

ــ هذا ولد .. لسانه أطول من قطار البضاعة .

ــ بقطعه لاجل خاطرك يا ست .

وتمتمت في سري .. يقطع اجلك واجل الست وكلكم يا غجر يا أولاد الـ ..... »

ووجه الشرطي كلامه الي :

ــ اقطع لسانك او لفه في حبل واربطه في وتد .. فاهم .. :

رددت في لا مبالاة :

ــ سامع .. فاهم .. واردفت .. سوف اقطعه الف قطعة من اجل عيون الست .. ولكنها ردت على الفور : اخرس يا كلب .. تقول عيون الست .

وداريت محنتي بضحكة جوفاء وادرك الشرطي الموقف وقال :

ــ كفى .. لا تسمعي كلامه .. انه مجنون .. اسكت يا مغفل .

ــ من اجل الورد يا شاويش .. لاجل خاطرك .. وجرت في قدميها كالجيش الجرار يعود منتصرا بعد غزوة لم يخسر فيها سوى طلقات الابتهاج بالنصر !!

وضجت نفسي بموكب الاحداث، وتاه قلبي في خضم رهيب حتى كان هذا اليوم الذي من اجله رقدت بين الموت والحياة ودفعت ثمنه غاليا ..

لقد اضمرت شيئا . وجمعت حولي بعض التجار رجالا ونساء واتفقنا على الا ندفع بالتي هي احسن بل بالتي هي أسوأ .. فاما نكون او لا نكون ، وشجعني النساء

تصوري

لا تخدعيني .. وامسحي تلك الدموع وأقصري
كم من مآس عشتها من قبل أن .. أن تكبري
من قبل ان تأتي الى الدنيا وان تتعثري
فالدمع في عينيك زيف !.. أي زيف أكبر
عن أي غدر ترغبين اليوم ان تتستري
أوما نصحتك قبل هذا ؟ .. قد نصحت فقدري
أنت الجديرة ان تجلي القدر أن تتأثري
أم قلبي المجروح بعد الحلم والحب البري
أم ذلك الحلم الحبيب وقد هوى في أبحر
من حزني المدفون في ظلمات ليل أغبر
لا تخدعيني ، في فؤادي مثل عزم الانهر
اني سأمضي ، في انفرادي للوجود الاكبر
وحدي مع الايام أشدو للربيع الاخضر
أطوي الزمان وامتطيه الى ظلال الاعصر
يا لهذه .. حزني عميق كالحياة .. تصوري

الناظور ـ المغرب القمري الحسين

فبل الرجال وقالوا سوف نقف جبهة واحدة . ولست ادري لماذا اختاروني زعيما .. ربما كان لضخامة بدني وعلو صوتي دخل في ذلك .. على كل لقد كان يوم الاربعاء .. يوم السوق ، يوم شهادة واستبسال ...

وبدأت المرأة الرجل بواحد منا ، مالت على غلاله واخذت ما ارادت نظر الينا ونظرنا اليه حرك رأسه يمنة ويسرة ، انتظر ان يتكلم ، وانتظرنا ان نتكلم ، نظر الي ولكني لذت بالصمت .. ساعة الجد بدأت ، وساعة الصفر تحددت ، طأطأ راسه واستظل بخيمة الصمت، وتحركت المرأة الى آخر .. وكان ما حدث مع الاول ، ثم الى امرأة ثالثة ، وحاولت هذه ان تقول شيئا .. قالت لا : هوت اللطمة قوية وحارقة . ثم آخر .. ثم دوري ..

جاء دوري .. اندلع الضجيج في صدري .. لكنني داريته قلت متوددا :

ـ الشاويش يصيح يا ست ..

ـ ملعون هو وأبوه ..

ـ أنا محسوب يا ست ..

احسست بانهيار الدم يتدفق في مخي وانا اتهاوى ، قلبي يقول : اقدم ولا تخف .. آه .. حين مالت على غلالي اندفعت يدي تلقائيا لتمنع وتحرك صوتي ليستنكر ولكن اللطمة كانت قد سقطت .. طار صوابي ، ذهب عقلي .

الكل آثر السلامة ونعم بالتفرج، تمثلت امامي صورة صندوق الدنيا، اتفرج يا سلام الشاطر حسن وست الحسن والجمال .. رحت اقاوم ، هويت على راسها بقبضتي .. لحظات لم اعرف نفسي بعدها في هذه اللحظات رأيت عيونا تبحلق وتحملق ، وتوقف الزحام ليتفرج الخلق على صندوق الدنيا ـ مثل الكرة أنا ، من يد الى يد وقدم الى قدم ، الكل تعاون مع البعض انشقت الارض عن الانصار أنا الزعيم تهرسني الاقدام وتطحنني الايدي .. حتى الشرطي خلع الحزام الجلدي واسمع الناس فرقعة مدوية تتردد ما بين جسدي وطرف حزامه !! حلم أم حقيقة ، الدم ينزف .. ينزف بغزارة ، ضعت كما ضاعت سيناء .. اين انت يا ابي يا صائد العرائس في البحار .. اني اضحك الان واضحك على نفسي متى ابكي يا ابتاه ..

لقد كانت قصتك يا ابتاه قصة خالدة احكيها لكل من يقابلني حتى بين هؤلاء المرضى والمجروحين !!

الاسكندرية حلمي محمد القاعود



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

شلي ووردزورث

كانت الحياة الادبية ، تشبه دوامة صاخبة من حولي ، في كلية الآداب ، وفي خارجها ..

كانت مجلة « ابولو » حدثا جديدا في الشعر خاصة ، لم يسبق له مثيل من قبل .. فهي تفتح صدرها للشيوخ والشباب ، وللقديم والجديد على السواء ..

ولذلك امكنني بعد قليل من صدورها ، ان اجد الطريق للنشر في صفحاتها .. وان اعرف كثيرا من شعراء الشباب وقتئذ .. وهم اليوم كبار شعراء العربية ، الذين يغنون لحنها الفخم الجليل ..

وقد ذكرت الهمشري ، في نهاية الفصل السابق .. وهو صديق زاملته في السنة الاولى بكلية الآداب .. وقد هزتني شاعريته المبكرة ، في عملين جليلين ، بالنسبة لشاعر شاب مثله .. الاول ملحمة « شاطىء الاعراف » التي نشرت في عدد فبراير ١٩٣٣ من مجلة أبولو .. والثاني ترجمة شعرية من قصيدة « القرية المهجورة » لاوليفر جولدسمث ، وقد نشرت في عددين من اعداد مجلة « الرسالة » ، اول صدورها في مفتتح ذلك العام ..

وزاملت كذلك شاعرا كان قريبا الى نفسي منذ اللحظة الاولى ، وكان قريبا في المكان ايضا .. اذ كان ملتحقا بكلية الحقوق في ذلك العام .. وكنا كثيرا ما نلتقي فلا يكف عن قراءة اشعاره علي .. ومن اهمها وقتئذ قصيدة لا انساها ، لانها كانت **تتصل في الواقع بدراستي** في كلية الآداب ، وبالجو الشعري الذي اصبحت اعيشه مع شعراء الرومانتيكية ، الذين كان لهم الاثر الاكبر على شعر تلك الفترة .. اما هذا الزميل الصديق ، فهو الشاعر مختار الوكيل .. (الدكتور مختار الوكيل مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية آخرا) .. واما القصيدة فهي « الى قبرة » للشاعر برسي شلي ..

كانت ترجمة مختار الوكيل لقصيدة شلي ، التي نشرت في عدد مارس ١٩٣٣ من مجلة ابولو ، مثالا في الروعة ، وحسن السبك ، والقرب الى الاصل نغما ، ووزنا ، ومعنى .. وقد اثارت هذه القصيدة معركة ادبية بين الشاعر الشاب مختار الوكيل ، والشاعر الكبير العقاد يومئذ ، وهي قضية يجب ان تذكر في موضعها بين قضايا المعارك الادبية ، التي دارت رحاها يومئذ بين ادباء الشيوخ وادباء الشباب ..

وكان اعجاب مختار الوكيل بصاحبه شلي لا يحد.. فهو يقول في لمحة عنه :

« يكفي شلي فخارا تزعمه عن جدارة الاغنية الانجليزية ، وهو في ميعة الصبى ، وحسبه شرفا ان يموت في الثلاثين تاركا خلفه آثارا فنية لم يتح ، وربما لن يتاح ، لعباقرة المعمرين من الشعراء ان يخلفوا ما يبزها مهما حاولوا وجاهدوا .. فلو قلنا ان تفكير هذا الشاب الخالد وخياله كانا فوق طاقة النوابغ ، لما كنا حائدين عن الحق ، ولما كنا مبالغين » ...

ولنسمع الى مختار الوكيل ، وهو ينقل اغنية شلي « الى قبرة » الى لغتنا العربية .. فيقول :

سلام عليك شعاع الجمال	**وركب السمو ، وروح الطرب**
محال تكونين طيرا محال	**وهذا غناؤك شيء عجب**
يذوب من القلب ، ضافي الجلال	**ليخلد في ابدات الحقب**
غناء شجي ، فريد المثال	**يشارفنا من ثنايا السحب**
عن الارض دوما طلبت البعاد	**وطرت الى حيثما ترغبين**
كانك - والجو مثل المداد -	**سحابة نار به تسبحين**
نشرت جناحيك فوق الوهاد	**وفوق المتالع اذ تعبرين**
وارسلت لحنك ، فيه الوداد	**وفيه الشجون ، وفيه اليقين**

وهكذا تستمر الاغنية، على هذه الروعة من السمو، والجمال .. والذي ينظر في « الاصل » لشلي ، يجد ان مختارا قد بزه وفاقه ، فزاد وحسن وجمل .. وجاء في قصيدته بنغم افخم .. اما حرفية المعنى فهي ما لا يصح الوقوف عنده في هذا المقام ، وبخاصة عند نقل الشعر الى شعر .. وحسب الشاعرين انهما اتفقا في الروح ، وتقاربا في البحر واسترسلا مع احساسهما الشعري ،

الى آفاقهما البعيدة ..

ماذا كنت افعل وقتئذ ؟

كنت أعيش مع هؤلاء الشعراء الرومانتيكيين حياة كلها الحب والاعجاب.. وكنت اترجم ايضا من اشعارهم، واحاول التقريب بين النغم والنغم ، والبحر والبحر ، والمعنى والمعنى ..

كان كتابي الذي لا يفارقني هو « كتاب اكسفورد للشعر الانجليزي » .. ومنه اخذت الكثير ، ونقلت القليل .. اما شلي فلشدة اعجابي به ، فقد اقتنيت له ديوانا خاصا يشتمل على مجموعة قصائده ، أعيش معه في عالم من الجمال والرقة والشاعرية الصافية الشفافة .. وقد نقلت لذلك عددا من قصائده ..

نقلت من الكتاب الاول ، قصيدة لوردزورث ، عن « قوس قزح » .. واخرى عن « النرجس المائي » ..

يقول في قصيدة « النرجس المائي » :

تجولت وحدي كبعض السحائب فوق الروابي واعلى الوهاد
فقابلت جمعا من النرجس المذهب .. جمهرة في احتشاد
بشط البحيرة بين الشجر ! تصفق راقصة في النسيم

دواما كما تستضيء النجوم   وتبرق فوق « طريق اللبن »
تمدد في لا نهائية   بشط الخليج امتداد الزمن
وتبدو عديدا بلمح البصر   تهز الرؤوس برقص حكيم

بجانبها يرقص الموج نورا   ولكن تبعثره في حبور
فهل للطبيعة من شاعر   يراها ولا يعتريه السرور
نظرت اليها ولم افتكر   بما نلته من ثراء كريم

ولما تمددت فوق الفراش   خليا فؤادي او في انشغال
تلالأن للبصر الباطني ..   وتلك له نعمة الاعتزال
فأرقصت قلبي بين الزهر   وافعمته باغتباط عظيم

كما يقول في قصيدة « قوس قزح » .. في ايجاز وبلاغة وشاعرية :

يقفز القلب اذا ما بصري   في السما ابصر قوس المطر
هكذا اعهده منذ الصبى   مثلما أشهده في كبرى
او دعوني اعتنق فيه الردى   انما الطفل أب للرجل
ليت أيام حياتي ارتبطت   بصلاحي في رباط الاجل

و « طريق اللبن » هو ترجمة ملتزمة لتعبير الشاعر عن نهر المجرة . اما « قوس المطر » فهو تعبير ملتزم ايضا لمعنى قوس قزح في الانجليزية ..

اما شلي ، فقد عشت معه اكثر ، وترجمت له .. فمن ذلك قصيدة « السحابة » ..

كنت اجلس في الشتاء ، في مكتبة الجامعة .. والصخب من حولي لا ينقطع .. ووفود الزملاء من الطلاب تذهب وتجيء .. والمطر المنهمر في الخارج يرسل طرقاته خفيفة او شديدة الى زجاج النافذة .. واصوات وقع الاقدام في الردهة الخارجية ، تحدث هذا النغم الخشن المنسحق المتواصل ، كنغم الرذاذ والبرد المتساقطين في الخارج ..

في هذا الجو الشتوي الصاخب ، كنت اعيش بكل احساسي وشعوري مع قصيدة شلي الموسيقية الرائعة .. التي راحت « السحابة » فيها تتحدث عن نفسها حديثا جميلا ، عذبا .. فهي تقول :

من كل بحر قد حملت وجدول   شؤبوب غيث للزهور الذبل
وسبغت ظلا ناعما حلمت به   في الظهر اوراق الغصون العسل
ولقد تساقط من جناحي الندى   فوق البراعم ، موقظا للغفل
من كل مهتز بصدر الام قد   رقصت به في الشمس رقص مدلل
ونثرت من حب الغمام لواذعا   يبيض منها كل حقل مخضل
فاذبته مطرا كما جمدته   وضحكت في رعد يمر مجلجل

وتنفض السحابة عنها ما تحمله من ثلج وبرد فوق رءوس الجبال ، ثم تتمدد في المساء كي تنام في كنف الرياح العاصفة ، وقد اخذ البرق والرعد يشقان لها الطريق ، ويقودانها فوق البحار الواسعة ، والجبال الشاهقة ، والخلجان المتوارية ..

ان الصنوبر ذاهلا متألما   لما نخلت على الجبال ثلوجي
فجعلت منها في المساء وسادتي   ونعست في يدي الرياح الهوج
والبرق رباني الذي بوأته   أعلى السماء بمشرفات بروجي
والرعد مكبول بجوف مغارة   يعوي بها ، ويثير شر ضجيج

فاذا انقضى الليل ، اقبل الصباح محمر العينين ، يقودها الى الشطآن المجهولة .. الا ان الليل لا يلبث ان يعود مرة اخرى ، فتضم جناحها خوفا ، كما تضم الام فرخها الصغير تحت جناحها ..

دامي الشروق بنيزكي عيونه   وبريشه المنشور ذي النيران
لما انقضى النجم الصباحي امتطى   ظهري لمجهول من الشطآن
وكانني ثلم بشاهق صخرة   قد ذبذبتها ثورة البركان
من فوقها ذهبي نسر جالس   فيما يشع جناحه النوراني
ومشى الغروب يشم اعطار الهوى   والنوم في بحر الشعاع الهاني
حتى اذا غطى الدجى وظلامه   عمق السماء بقرمز الاكفان
شابهت في عش الهواء حمامة   ضمت على فرخ جناح حنان

ويأتي القمر في لهيبه الابيض .. ليمر من بين خصلات شعرها ، فيهدم بناءها ، ويفسح للنجوم موضعا تظهر فيه من بين ثناياها ..

تلك الخريدة من لهيب ابيض   من سميت عند الاناسي القمر
تخفى ويظهر في بلاط خصائلي   والليل ينشق حالم النسم العطر
لكنها هدمت سقيفة خيمتي   لكواكب قد سارقت منها النظر
فمضت كسرب النحل وهو مذهب   وانا اقهقه اذ تضيء وتندثر

ويظهر قوس قزح ، وكأنه قنطرة عظيمة من الالوان المشرقة الزاهية :

فوصلت ما بين الشطوط كانني   جسر اقيم على الخضم الجارى
وعقدت قوس النصر ازحف وسطه   في الثلج والنيران والاعصار
فنسجته قزحا زهت الوانه   الريح في كرسيه الخطار ...

وتلخص السحابة قصتها في النهاية ، في ايجاز بليغ ..

انا اخت هينة الثرى والماء   ورضيعة للقبة الزرقاء
كم من بحار او شواطىء جزتها   لتغير ، لكن لغير فناء

. . . .

هذه المعاني الرائعة ، التي يراها القارىء في هذه القصيدة ليست لي ، ولكنها لشلي .. على أن بعض

شعور وفناء

أحب الناس من دان ونائي ... وأفرح بالحياة وبالضياء
وتغمرني السعادة حين ألقى ... وجوه الناس تطفح بالهناء
واعشق كل ذي حسن فريد ... كأن هواه يجري في دمائي
واهوى الشمس تشرق كل يوم ... صباحا ثم تغرب في المساء
وآلاف الكواكب في الليالي ... تضيء كأنها شعل الرجاء
وما حوت البسيطة من جمال ... وما في الكون اجمع من بهاء
وافرح فرحتي الكبرى كصب ... يعيش ألذ أيام اللقاء
وأعجز عن مدى حبي كأني ... اناء ضاق عن رحب الفضاء
فاشعر بالفناء يقود حبي ... كأن تمام حبي في الفناء

وآسى للزمان أضاع عمري ... واقصدني بانواع البلاء
فلا مال أعيش به كريما ... ولا ولد أرى فيه عزائي
وآسى للجياع وللحزانى ... ومن يشكون من داء عياء
وما تلقى ملايين الضحايا ... من الباساء ظلما والشقاء
وما لقيت قرون غابرات ... من الالم المبرح والعناء
وللعشاق قد ذابوا سقاما ... وليس سوى الاحبة من دواء
وما حملت قلوب من هموم ... وما لقيت عيون من بكاء
واعجز عن مدى حزني كأني ... اناء ضاق عن رحب الفضاء
فأشعر بالفناء يقود حسي ... كأن تمام حسي في الفناء

حلب

عمر أبو قوس

الشعراء ، كما يحدث في كل عصر ، يسرقون المعاني الرائعة ، وينسبونها لانفسهم ، وهم لا يعلمون ان الزمن كفيل بكشف السارق ، واظهار المسروق ..

كان احد شعراء الشباب ـ يومئذ ـ يقرأ قصيدة له ، ووقف عند معنى قال انه ابتكره ، او انه لا نظير له في الشعر العربي على الاطلاق .. وهو قوله « وقد قبل البحر ضوء القمر » .. فقلت له ان هذا المعنى مسبوق .. فغضب غضبا شديدا ، وقال : فمن قائله ؟ قلت له : انه شلي ، في قصيدته « فلسفة الحب » .. ثم قرات عليه ترجمتي لها ، وهي :

ماء الجداول بالانهار ممتزج ... وللنهور امتزاج بالمحيطات
وللرياح مدى الآباد ثائرة ... لطيفة ، واختلاط في السموات
لا شيء في هذه الاكوان منفرد ... ولا تعيش به الاشياء وحدانا
والامتزاج قوانين مقدسة ... فكيف لم تمتزج بالحب روحانا
فم السموات اجبال تقبله ... والموج صافح كف الموج من طرب
وليس يغفر للازهار ما صنعت ... ان حقرت بعضها بعضا بلا سبب
الارض صافحنور الشمس ساحتها ... والبحر قبله ضوء من القمر
فهل يكون لهذا الصنع قيمته ... ان لم انل قبلة من ثغرك العطر

هذا بعض من اثر الشعراء الرومانتيكيين على شباب تلك الفترة ، ومحاولاتهم الجادة في نقله وتعريبه .. فماذا فعل هؤلاء الشبان انفسهم ، وماذا قدموا للعربية من شعر جديد أصيل ؟!

مصر الجديدة

عامر محمد بحيري

امين فارس - باسم فارس

صدقي حطاب - البرت بطرس

بقلم البدوي الملثم

***

١ ـ امين فارس

كانت الحكمة التي اختارها المعلم امين فارس شعارا ... وظل يرددها قول ابن الوردي :

قيمة الانسان ما يحسنه   اكثر الانسان منه أم أقل

ولد المعلم « امين » في بلدة « بحمدون » بلبنان عام ١٨٦٧ وتعلم في مدرسة قريته أولا وحوالي عام ١٨٧٩ انتقل الى القدس بمساعدة قريبه المرحوم حنا يوسف نجم ، بعد أن تناهى اليه ان مدرسة صهيون الانكليزية في بيت المقدس تستقبل الطلاب الفقراء بلا مقابل ، وبعد جهد بذله في هذا السبيل وفق الى دخول هذه المدرسة بالمجان وانهاها حوالي ١٨٨٥ ثم التحق بكلية الشباب بالقدس وانهاها عام ١٨٨٧ ، وبعدها بارح المدينة المقدسة الى مدينة الناصرة حيث عين معلما في مدرسة الارسالية الانكليزية وظل يعمل فيها من عام ١٨٨٧ حتى عام ١٩١٤ .

وفي الحرب العالمية الاولى قضت ظروف قاهرة باغلاق هذه المدرسة الانكليزية فاسس المعلم أمين مدرسة خاصة به في مدينة الناصرة وظل يديرها ويصرف شؤونها حتى عام ١٩١٨ .

وبعد ان بسط الانكليز سلطانهم على فلسطين التحق بجهاز التعليم وعين مديرا للمدرسة الاميرية الثانوية في الناصرة (من ١٩١٨ الى ١٩٢١) وبوفاة اللغوي الشهير المعلم نخلة زريق عام ١٩٢١ عين المعلم أمين فارس خلفا له في الكلية الانكليزية التي كانت تعرف بـ « كلية الشباب » وتولى تدريس العربية والرياضيات في صفوفها العليا وظل استاذا فيها الى ان اغلقت هذه الكلية أبوابها عام ١٩٣٠ فعاد الى مدرسة صهيون وتولى فيها تدريس العربية الى ان تقاعد عام ١٩٣٣ ، وفي الخامس من شهر آب ١٩٣٨ توفي هذا المربي الكبير بالقدس ودفن في مقبرة صهيون .

من آثاره القلمية : في عام ١٩٠٠ شرع المرحوم المعلم أمين فارس في نشر نفثات قلمه على صفحات « الهلال » و « النفائس العصرية » و « مجلة سركيس » و « المورد الصافي » و « النشرة الاسبوعية » وترك كتابا في التربية وآخر بعنوان « اختباراتي في الحياة » وقد فقد هذان الكتابان في القدس عام ١٩٤٨ بسبب الكارثة العربية الكبرى .

نموذج من شعره : فقدت فلسطين عام ١٩٢٦ الوجيه المرحوم عبد الله الفاهوم أحد أعيان مدينة الناصرة فرثاه المعلم أمين فارس بقوله :

علم من آل فاهوم قضى   بعده قيل على الدنيا السلام
كان عبد الله فينا علما   نافذ الامر ومرفوع المقام
ذكره الطيب يبقى نشره   دونه المسك الى نشر الانام
جنة كن قبر عبد الله ما   يقرأ التاريخ يرويها الغمام
١٣٤٤ هـ

واختار نجله الاستاذ باسم فارس الآنسة للي نخو كريمة الدكتور نعمة نخو الاستاذ الشهير في الامراض الصدرية ، شريكة لحياته فحيا الوالد الماجد هذا الحدث السعيد بقوله :

ان للي نخو زنبقة زفت الى   كفء لها فاهنأ بها يا « باسم ! »
لا زلتما في عيشة راضية   تفتر من هنائهما المباسم
أنشأتما بيتا يدوم عامرا   مباركا ما دامت المواسم
فانشد الوالد بيتا والملا   في جذل ثغورهم بواسم
زفاف « باسم » أضاء السعد في   تاريخه فكل ثغر باسم
١٩٣٣

نموذج من نثره : وفي عام ١٩٣٥ التحق نجله المرحوم الدكتور نبيه أمين فارس بجامعة برنستن بالولايات المتحدة فدارت مراسلات بين الوالد ونجله خلال اقامته في المهجر ، ومن الرسائل التي بعث بها المعلم امين الى الدكتور نبيه :

« ... واني لفخور جد الفخر بابن نظيركم ، قلبه مملوء محبة واخلاصا ، واخلاقه سامية سمو الجوزاء ، ومع ذلك يتجلى في هيئته وكلامه وكتابته التواضع والوداعة مع ما بلغ من الدرجة العلمية ، فلا شيء يستفزه ليجنح الى الزهو والافتخار مع ان وسائلهما متوفرة لديه ، فلا عدمت هذه الخلال الرفيعة فيك وابقى الله لي صاحبها موضع فخر اعتز به ويشتد ساعدي بما استمده من قوته بعد الله عز وجل مصدر كل قوة وموضع الفخر الحقيقي والمنعم علينا بمحاسن الصفات وجليل المزايا ، زادنا الله منها وزادنا في الوقت نفسه تواضعا ووداعة ! »

٢ ـ باسم فارس

نظر « باسم » الى الفيلسوف البريطاني برتراند راسل نظرة اعجاب وتقدير ... ورأى في هذا الانسان الاديب فيلسوفا حكيما هو ملك للعالم اجمع ... واختار من اقواله وحكمه كلمة ظل يرددها في مجالسه وندواته :

« انني اناشدكم ـ مناشدة انسان لانسان ـ ان تتذكروا انسانيتكم ، ناسين كل شيء عداها ... فاذا استطعتم الى ذلك سبيلا ، انجلى الدرب امامكم عن فردوس جديد ، واذا اخفقتم في ذلك انتصب امامكم الموت العالمي ! » .

ولد « باسم » في مدينة الناصرة بفلسطين عام ١٩٠٤ وتتلمذ اولا على جده لامه المرحوم حنا يوسف نجم في المدرسة التي انشأها في « الناصرة » وعلى والديه المعلم امين فارس وليس حنا نجم وعمته أمينة فارس في البيت .

وبعد نشوب الحرب العالمية الاولى التحق « باسم » بمدرسة صهيون الانكليزية في القدس وانتقل منها الى الكلية الانكليزية (كلية الشباب سابقا) عام ١٩٢٢ حيث نال زيادة على شهادتها الثانوية شهادة كليتي اكسفورد وكمبردج ، ثم التحق بالجامعة الاميركية ببيروت في خريف عام ١٩٢٢ ونال شهادة بكالوريوس علوم بالرياضيات والطبيعيات في صيف عام ١٩٢٥ وعين استاذا في الجامعة الاميركية وشرع في تدريس الطبيعيات في دائرة العلوم والآداب ومن ثم انتدبته الجامعة الاميركية في بعثة الى الولايات المتحدة للتخصص بعلم الاحصاءات الاقتصادية فامضى عامين في جامعة هارفارد ونال منها شهادة الماجستير في الاقتصاد صيف عام ١٩٣١ وعاد الى الجامعة الاميركية في بيروت استاذا لعلمي الاقتصاد والاحصاء حتى عام ١٩٣٨ عندما عزم على هجر التدريس وولوج الحياة من أوسع ابوابها عن طريق الاعمال الحرة ، فساعد على تأسيس عدة مشاريع عمرانية من تجارية وصناعية وركز جل اهتمامه منذ خريف ١٩٤٤ على

اعمال « شركة التامين العربية المحدودة » التي انشاها في بيت المقدس بالاشتراك مع رفيقه في الدراسة والحياة العملية الاستاذ فؤاد صالح سابا فكان مديرا لها منذ تأسيسها حتى الوقت الحاضر ورئيسا لمجلس ادارتها ومديرا عاما لها منذ ١٩٦٣ .

من آثاره القلمية : الذين تتلمذوا على الاستاذ باسم في الجامعة الاميركية ونهلوا من علمه عرفوه رجلا اقتصاديا عركته الايام ... يتميز ببعد النظر وسعة الافق والتحليق في كل موضوع عالجه وولجوا بابه ! ولو اتيح له الفراغ الكافي لصنف في الرياضيات والطبيعيات ولابدع في كل موضوع عالجه بقلمه !

ومن الآثار القلمية المطبوعة التي عرفناها للاستاذ باسم :

١ ـ مصادر العلوم الاجتماعية في الشرق الاوسط (من سنة ١٩١٨ ـ ١٩٣٢) طبع عام ١٩٣٤ .

٢ ـ الدورات الاقتصادية واثرها في الاقتصاد العالمي ـ طبع عام ١٩٣٣ .

٣ ـ القوى الكهربائية في سورية ولبنان وفلسطين ـ طبع عام ١٩٣٦

٤ ـ فصل عن التجارة الداخلية في سورية ولبنان (في كتاب « النظام الاقتصادي لسورية ولبنان » لجامعة الاستاذ سعيد حمادة سنة ١٩٣٦) .

٥ ـ مقالات عديدة في مجلة « الكلية » وفي « الاقتصاديات العربية» وفي « مجلة التامين » التي تصدر عن « الاتحاد العربي العام للتامين » في القاهرة .

٦ ـ مقالات متعددة مرتكزة على دراسات شخصية لمناحي الحياة الاقتصادية في مختلف الاقطار العربية منها :

أ ـ دراسة للاحوال الاجتماعية والاقتصادية في وادي حضرموت .

ب ـ دراسة لموانيء الخليج العربي والامكانيات الاقتصادية في خمس من امارات الخليج العربي هي : الكويت ، البحرين ، قطر ، ابو ظبي ، دبي ، ١٩٦٩ .

ج ـ دراسة مفصلة لامكانيات التامين في ليبيا وسواها في حقل التامين ، ١٩٦٨ .

نموذج من نثره : « أود بادىء ذي بدء ان اصحح خطأ شائعا في الاوساط الاقتصادية عندما يشار الى النشاط التاميني كصناعة . والصناعة بمعناها الصحيح تفترض أخذ المواد الخام وتعريضها لاساليب من شانها تبديل شكلها وكيفية استخدامها وتخلق منها بضاعة جاهزة للاستهلاك اما في صناعة اخرى او للاستهلاك الفردي في الحياة اليومية . بينما يهتم التامين في اداء خدمة معنوية للاقتصاد الاهلي شان الخدمات التي يؤديها جهاز المصارف والجهاز الطبي او الجهاز الهندسي . ولا يحدث اثناء عملية التامين تبادل سلع مادية من البسة او ماكولات او ادوات نقل او حفر او تصنيع . وعليه فان العاملين في التامين مهنيون كالطبيب والمهندس والرئيس الديني وفاحصي الحسابات الخ ... لذا فان التعبير السوي لوصف اعمالنا هذه ياتي عن طريق استخدام الاصطلاح « مهنة التامين » فتستقيم التسمية من نوع العمل او الخدمة المعطاة .

وفن التامين هذا يرتكز على أسس علمية رياضية ومعرفة واسعة للعلوم الطبيعية والاجتماعية كعلم الاحياء والطبيعيات والكيمياء والفلك وعلم طبقات الارض والاقتصاد والطب والملاحة والهندسة ، لذلك فعلى ممتهن التامين ان يعد نفسه علميا عن طريق دراسات واسعة وتعمق في المعرفة واختبار خلال السنين الطوال قبل ان يعتبر رجل تامين وفني متخصص في علم التامين او الاحصاءات الحيوية .

وترتكز صناعة الانتاج سواء في الصناعات الثقيلة او الخفيفة ، بما فيه صناعات المأكولات والثياب والنقل على رئيسية اربعة هي :

أ ـ المعرفة الفنية لسبل الانتاج .

ب ـ رأس المال الكافي لانشاء المصنع وتمويل العمليات اثناء التصنيع .

ج ـ المواد الاولية التي تدخل في تحضير الانتاج على ان تكون هذه متيسرة باسعار مؤاتية .

د ـ اليد العاملة ، ويكون رب العمل او الادارة العليا والمعروفة عادة بـ « المقدام المنظم » الواسطة التي تجمع بين عوامل الانتاج الاربعة المذكورة آنفا . ومن البديهي ان تامين امكانية العيش والنمو والازدهار لصناعة ما يقتضي اولا وجود سوق محلية في البلد الذي تتاسس فيه ، تكون نواة لاستيعاب الانتاج ، ومن ثم يقتضي توفر اسواق خارجية مجاورة ونائية . ولخلق الفوائد الموضعية للسلع المنتجة يجب ان تتوفر وسائل النقل بكلفة معقولة بين نقطة التصنيع وسوق الاستهلاك . ولخلق هذه الفائدة الموضعية يجب ان تتضافر المصارف بتمويلها عمليات الاستيراد والتصدير ، والمصارف بدورها تطلب ضمانا لاموالها المستخدمة في تمويل الصادرات والواردات فتلتجىء الى شركات التامين للحصول على الضمان اللازم للاموال التي تغطي الانتاج اثناء انتقاله بين مصدره ومكان استهلاكه .

تبتدىء مهمة رجل التامين عندما تكون الصناعة في دور التاسيس وذلك لايجاد رأس مال كاف للقيام بخلق وبناء الوسائل من ابنية ومعدات وآلات تمارس الانتاج ، وهنا تتدخل شركات التامين وقد تجمع لديها اموال طائلة للتوظيف عن طريق بوالس الحياة او عن طريق الاحتياطات الحسابية التي تحتفظ بها لقاء الاخطار المؤمنة في الفروع العامة ، فتكتتب بقسم من رأس المال كوسيلة للتوظيف . وعلى سبيل التنويه ان الاحصاءات الاخيرة تشير الى ان شركات التامين الاميركية تملك بين ٢٧ و ٣٠٪ من اسهم جميع الصناعات الاميركية . وهنالك شركة تامين على الحياة في نيويورك ، هي اكبر الشركات في العالم قد تجمع لديها من الاموال ما يبلغ حوالي الثلاثين بليون دولار اميركي ، مبلغ يكفي لشراء كل موجودات عدد من بلدان الشرق الاوسط مع فيض من رأس المال للمعاملات اليومية اللازمة لادارة الصناعة والتجارة والزراعة في هذه الاقطار وتموينها بالمواد الخام وتزويدها باليد العاملة .

وعلى سبيل المثال اذكر ان الشركة التي اقوم على ادارتها توظف في لبنان ٣٢٪ مما تملك من اسهم وسندات في مؤسسات صناعية ، وفي الاردن تبلغ نسبة الاسهم والسندات الموظفة في الصناعات ٣٩٫٤٪ من مجموع الاسهم المالية التي نملكها ، وفي تونس بلغ التوظيف في الصناعات ١٠٪ ، واذا اخذنا مجمل ما نوظفه في اوراق مالية بجميع الاقطار التي نعمل بها لبلغ مجمل الموظف في الصناعات ٣٣٪ من مجموع التوظيفات الاسهمية ، وقس على ذلك اكثر شركات التامين العالمية .

ولا يقتصر مجهود التامين على الامداد برؤوس الاموال واستثمار الكثير من المتجمع لديها منها في صناعات مختلفة ، بل يتعداه الى توفير الحماية للمؤسسات الصناعية اثناء نشاتها وبعد ان تباشر الانتاج ، ضد اخطار تنجم عن عوامل طبيعية كالحريق والزلازل والاعصارات والفيضانات ، او عن طريق عوامل انسانية كالسرقة والتخريب والتطاول على الاموال .

اذن فمهنة التامين هي الاداة الفعالة لخلق رأسماليين صغار ، تضم وفوراتهم المتواضعة عن طريق بوالص الحياة ، فيصبح مالكو القسم الاكبر من الصناعات مئات الالوف واحيانا الملايين (كما هو الواقع في شركة التلفون والتلغراف الاميركية وشركة جنرال موتورز لصناعة السيارات) من المواطنين المتوسطي الحال ، ومن نفس العمال والاداريين الذين يعملون في تلك الصناعات ، فيصبح الدافع قويا لبذل اقصى الجهد والاخلاص في ما يقوم به الموظف من عمل تجاه مؤسسة هو احد مالكيها ، وتعود بعض ارباحها اليه .

فمؤسسات التامين هي تعاونيات لجمع جهود المجتمع في مجمعات كبيرة تخدم المواطنين انفسهم وتوزع الفائدة على اكبر عدد ممكن من السكان ضمن البلد المعني . وبديهي ان صغار الراسماليين يخلقون بتعاونهم عن طريق شركات التامين معينا فياضا من المال ينصب

بمعرفتها لتأسيس صناعات زاهرة قادرة على التوسع وفق متطلبات الاسواق ! »

٣ ـ صدقي عبد الله حطاب

أفزعته العلل التي اصطلحت على امته ... فراح يستقصي بواعثها وأسبابها ... وعلى حين غرة صرخ من أعماق نفسه :

« التسلح بالوعي ، والتأكيد على الوحدة الوطنية ، وشجب التفرقة الاقليمية ومحاربتها ضرورة قومية ! » .

ولد « صدقي » في قرية « كفر صور » (قضاء طولكرم) بفلسطين عام ١٩٣٢ وأتم دراسته الابتدائية في قريته والثانوية في طولكرم حيث حصل على شهادة مترك لندن في مطلع عام ١٩٥١ وترك فلسطين في صيف عام ١٩٥١ ، وفي هذا العام التحق بكلية الآداب في جامعة القاهرة حيث درس الادب الانكليزي وفي عام ١٩٥٥ حصل على درجة الليسانس كما حصل من نفس الجامعة على درجة الماجستير في عام ١٩٦٧ وكان موضوع رسالته « مذهب ريتشاردز (١) في النقد الادبي » كما زار بريطانيا في عام ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ودرس في جامعة لندن وتتلمذ على الناقد الانكليزي المشهور جيفري تلتسون وشرع في اعداد رسالة الدكتوراه لجامعة لندن عن « أثر اليوت في الادب العربي المعاصر » .

نشأ « صدقي » في اسرة تعنى بالعلوم الدينية وبالادب وباللغة وفي سن مبكرة اهتم بالادب العربي القديم ، ومن الكتب الاولى التي قرأها « شرح المعلقات السبع » للزوزني و « جواهر الادب » للهاشمي و « ديوان الكميت » و « ديوان ابن زيدون » كما قرأ عددا من دواوين الشعر الجاهلي والاسلامي وكتبا في الادب واللغة والتاريخ .

وفي الشطر الثاني من المرحلة الثانوية بدأ يهتم بالادب العربي المعاصر ، وأتاحت له اجادته للغة الانكليزية كنوز الادب الغربي ، واهتم الى جانب الادب بالفلسفة وبتاريخ الافكار ، كما احب الادب والفكر اليوناني فقرأ لهوميروس واسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدس وارستوفان وافلاطون وارسطو وزينفون . وأحب من الادب اللاتيني ، وبعضه قرأه في لغته الاصلية ، اشعار فيرجيل وهوراس وقرأ كثيرا في الادب الانكليزي والامريكي بحكم تخصصه وهواياته ، كما قرأ كثيرا في الادب الروسي : بوشكين ، تيرجنيف ، جوجول ، تولستوي ، ديستويفسكي ، تشيكوف ، غوركي . ولو اراد « صدقي » ان يختار عشرة من ادباء العالم الذين احبهم وتأثر بهم لكانوا على التوالي : هوميروس ، سوفوكليس ، المتنبي ، ابو العلاء المعري ، دانتي ، شكسبير ، موليير ، بايرون ، جيته ، تولستوي .

ومن النقاد الذين أحبهم : ارسطو ، هوراس ، لونجينوس ، الجرجاني ، العسكري ، كولريج ، ارنولد ، اليوت ، ريتشاردز ، طه حسين .

ومن رجال الفكر الذي تفاعل معهم : افلاطون ، اوغسطين ، ابن رشد ، الغزالي ، شوبنهور ، نيتشه ، فرويد ، رسل ، توينبي ، العقاد .

وبعد تخرجه من جامعة القاهرة عمل مدرسا في « مدرسة صلاح الدين » بالكويت مدة عامين ونقل الى وزارة التربية والتعليم رئيسا لقسم الترجمة فرئيسا لقسم اليونسكو ويشغل الآن رئاسة قسم الوثائق التربوية وخلال عمله في وزارة التربية والتعليم الكويتية اشترك في المؤتمرات التالية :

١ ـ مؤتمر الادباء العرب الرابع المنعقد في الكويت عام ١٩٥٨ .

٢ ـ مؤتمر امناء اللجان الوطنية لليونسكو المنعقد في باريس عام ١٩٦٢ .

٣ ـ مؤتمر اللجان الوطنية العربية لليونسكو الثالث المنعقد في القاهرة عام ١٩٦٢ .

٤ ـ المؤتمر العام الحادي عشر لليونسكو المنعقد في باريس عام ١٩٦٢ .

٥ ـ مؤتمر اللجان الوطنية العربية لليونسكو الرابع المنعقد في الجزائر عام ١٩٦٤ .

٦ ـ المؤتمر العام الثاني عشر لليونسكو المنعقد في باريس عام ١٩٦٤ .

٧ ـ مؤتمر اللجان الوطنية العربية لليونسكو الخامس المنعقد في الكويت عام ١٩٦٦ .

من آثاره القلمية : كان أول مقال ترجمه ونشره في « الاديب » عام ١٩٥٣ عن « التعبيرية » لهربرت ريد ، كما نشر في نفس المجلة عام ١٩٥٧ قصة مترجمة عن الغزو الياباني للصين بقلم بيرل بك ونشر مقالا في العدد الاول ١٩٧٠ من مجلة « عالم الفكر » الكويتية ، كما نشر الكتب التالية :

١ ـ منهج المدرسة الابتدائية : لروبير دوتران (ترجم هذا التكليف بتكليف من منظمة اليونسكو وطبع في الكويت عام ١٩٦٥ في ٤٠٠ صفحة) .

٢ ـ فن المسرحية : ليتنلي وميليت (نشر في بيروت عام ١٩٦٦ في ٥٤٠ صفحة) .

٣ ـ ناظر المدرسة الناجح : لجاسوانت سنج (ترجم هذا الكتاب بتكليف من وزارة التربية والتعليم الكويتية وطبع في الكويت عام ١٩٦٦ في ٣٠٠ صفحة) .

٤ ـ تقنيات واساليب جديدة في التربية ـ لطائفة من اعلام التربية في العالم (ترجم هذا الكتاب بتكليف من اليونسكو وطبع في الكويت عام ١٩٦٦ في ١٥٠ صفحة) .

٥ ـ دراما اللامعقول : يحتوي على اربع مسرحيات من مسرح اللامعقول او مسرح العبث مع مقدمة ضافية (ترجم هذا الكتاب بتكليف من وزارة الارشاد والانباء في الكويت ، وطبع في الكويت عام ١٩٧٠ في ٣٥٠ صفحة) .

٦ ـ فن السيرة الادبية : لليون أدل .

نموذج من نثره : « اخرجت جميع المآسي الاغريقية العظيمة في اثينا ما بين ٥٠٠ و ٤٠٠ ق. م ، ويضم هذا العصر فترة مجد اثينا ـ العصر الذهبي ، او عصر بريكليس ـ وجزءا من فترة الانتكاس التي تلتها . ويجب علينا اذا اردنا ان نفهم هذه المسرحيات ان نعرف شيئا عن معتقدات اهل اثينا وعاداتهم في ذلك الزمن .

ولعل أشد المفاهيم والافكار الاثينية غرابة في نظرنا هي تلك التي تتعلق بموقف الاثيني من الدين والآلهة من ناحية ، وموقفه من الدولة من ناحية أخرى . ونظرا لما لهذا الموقف من أهمية بالغة في المسرح ، فانه يحول كثيرا بيننا وبين فهمنا للمآسي . فالمأساة الاغريقية كانت دينا في اصلها وغايتها ، وكانت الدولة تخرجها للشعب باسره .

ويثير الدين الاغريقي عند القارىء المعاصر بلبلة ، لان هذا الدين يشتمل على اشياء لا يعتقد القارىء المعاصر انها من الدين في شيء ، ويستبعد هذا الدين اشياء هي في نظر القارىء من صلب الدين. فمهما كان الموقف الشخصي للدارس المعاصر من الدين ، فانه من المحتمل ان يرتبط في ذهنه بالفضيلة والكنائس وربما بالعقائد . وهذه الاشياء لم تكن مهمة او معروفة لدى الاغريقي المتدين ، فالدين يوحي للاغريقي بالشعر والموسيقى والطبيعة وباسلافه وتاريخ بلاده . والهته كانت تجسيدا لقوى الطبيعة ، وتجسيدا لعواطفه ، ولما يضفيه على الارض والسماء والبحر والنار والريح والرعد والحب والحكمة من صفات . ثم ان الهته كانت هي اسلافه ـ فكل اسرة تنتسب الى بطل هو ابن اله ، وانسان من البشر في آن واحد .

١ ـ ان ريتشاردز هذا هو احد رجلين عقدت لهما راية النقد الادبي الانكليزي في القرن العشرين .

وكانت الآلهة تشبه البشر في صورها واهوائها ، فهي مثلهم تحب وتحارب وتخاصمهم ولها احبابها وخصومها ، وكثيرا مـا تدخل بعضها فافسد على بعضها الاخر رغباته ، وكثيرا ما حملت في صدورها الغل والحقد على بني البشر وعلى بعضها بعضا ، وكانت هذه الآلهة تتفـق معظم وقتها على الارض تتدخل في شؤون الناس ، مساعدة او معوقة .

وهذا الايمان جعل الدين والالهة على اتصال اوثق بحيـاة الناس مما عليه الدين في يومنا هذا . فاذا نجح انسان او خاب ، فليس ذلك نتيجة لحسن طالعه أو سوئه ، او لما بذله مـن جهـد ، واذا القت العاصفة بسفينة احدهم فوق الصخور فما ذلك الا لان بوسيدون غاضب عليه لاثم اقترفه ، واذا انتصرت اثينا في معركة مهمة ، فمـا الفضل في ذلك للقائد المنتصر او للجنود الاثينيين ، وانما الفضل كله يعود للالهة اثينا التي حاربت مع مدينتها . وهكذا كان اليوناني على اتصال دائم بآلهته ، فكل حدث في حياته اليومية له مغزى ديني، ولكن حسن الطالع او نكده بغير معنى . فدين الاغريقي ، كما يقول ديكنسون، « قد جعل العالم كله أليفا لديه » .

٤ ـ الدكتور البرت بطرس

الحكمة التي يرددها الدكتور البرت في ندواته ويرفعها شعارا وعلما : سأل احدهم نيتشه : ـ لماذا تكتب ؟ اجاب نيتشه : « انـني اكتب لانني لا استطيع الا ان اكتب ... او اذا شئت تعبيرا افضل فانـني اكتب لاتخلص من افكاري ! » .

ولد « البرت » في القدس سنة ١٩٣٤ والتحق بكلية تراسانطة من سنة ١٩٣٩ الى ١٩٤٨ ونتيجة للنكبة العربية الاولى الـتي عصفت بفلسطين سنة ١٩٤٨ بارح مسقط رأسه الـى عمان عاصمة الاردن والتحق بكلية تراسانطة ونال الشهادة الثانوية سنة ١٩٥٠ كما نال في هذه السنة شهادة الدراسة الثانوية الاردنية وشهادة مترك لندن (من الدرجة الاولى) وزاول تعليم اللغة الانكليزية والرياضيات في الكلية البطريركية بعمان من ١٩٥٠ الى ١٩٥٣ وعين استاذا للانكليزية وآدابها في كلية تراسانطة بعمان من ١٩٥٣ الـى ١٩٥٥ وعلم الانكليزيـة والرياضيات في دار المعلمين بعمان .

وفي سنة ١٩٥٤ احرز شهادة لندن (انتـر ميديت) وفي سنة ١٩٥٥ قصد بريطانيا في بعثة علمية ودخل جامعة لندن ونال منها شهادة بكلوريوس شرف باللغة الانكليزية وآدابها بالاضافة الـى بكلوريوس آداب من جامعة اكستر ببريطانيا .

وفي سنة ١٩٦٠ قصد الولايات المتحدة في بعثـة علمية ونـال الدكتوراه باللغة الانكليزية وآدابها من جامعة كولمبيا بالولايات المتحدة وكان موضوع (الاطروحة) التي قدمها : « الكلمـات الانكليزيـة في اللهجة العربية الفلسطينية (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) واللهجـة الاردنية » (١٩٤٨ ـ ١٩٦٢) .

وفي سنة ١٩٦١ عين محاضرا في كلية « هنتر » بجامعـة مدينـة نيويورك في اللغة الانكليزية فمدرسا للغة الانكليزية في جامعة « ميامي » بولاية اوهايو بالولايات المتحدة (من ١٩٦٢ الى ١٩٦٢) وعاد بعدها الى الاردن وعين مدرسا للانكليزية وآدابها في الجامعة الاردنية (من ١٩٦٣ الى ١٩٦٥) فاستاذا مساعدا في الجامعة الاردنيةللغة الانكليزية وآدابها (من ١٩٦٥ الى ١٩٦٧) فاستاذا في هـذه الجامعة للانكليزية وآدابها فرئيسا لقسم اللغة الانكليزية وآدابها سنة ١٩٦٧ .

من آثاره القلمية : صنف الدكتور البرت بطرس باللغة الانكليزية التي جيدها كالع كتابها ، ومن المؤلفات التي وضعها ونشرها بلغـة شكسبير :

١ ـ قصص عن الخلفاء ـ طبع سنة ١٩٦٥ .

٢ ـ ت. ي. لورنس : وجهة نظر عربية (وضع هـذا الكتـاب بالاصل الاستاذ سليمان موسى ونقله الى الانكليزية الدكتور البـرت بطرس وطبع سنة ١٩٦٦) .

٣ ـ تعليم اللغة الانكليزية في المستويات فوق الثانوية في الاردن ـ طبع سنة ١٩٦٨ .

٤ ـ انطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير (ترجمه الدكتور بطرس عن الانكليزية) ـ طبع سنة ١٩٦٨ .

٥ ـ الجامعة الاردنية وقسم اللغة الانكليزية فيها : نظرة موجزة ـ طبع سنة ١٩٦٨ .

٦ ـ تطور القاموس الانكليزي ـ طبع سنة ١٩٦٩ .

ومن آثار الدكتور بطرس قيد الطبع :

١ ـ قادة في الفكر العربي .

٢ ـ انجازات فنية (بالاشتراك مع السيد هاري مارتنز) .

٣ ـ الكلمات التركية والايطاليـة والفرنسية في لغـة فلسطين والاردن العامية .

٤ ـ تحليل صوتي مقارن للغتين العربية والانكليزيـة : دراسة في المشكلات الصوتية التي يواجهها العربي في تعليم اللغة الانكليزيـة .

نموذج من نثره : اغلب المقالات والابحاث التي نشرها الدكتـور بطرس جاءت باللغة الانكليزية ، وله مقالات موضوعية نشرهـا باللغـة العربية وقـد اتسمت بالعمق والاصالة ، نشر بعضها في مجلـة كليـة الآداب بالجامعة الاردنية وفي مجلتـي « الشباب » و « المجاهـد » الاردنيتين .

ودونك مقالا بقلمه تحت عنوان « نحن والمستوى » :

« في كل مجال من مجالات النشاط الانساني سلم قياسي يسجل مقدار ما في الجهد المبذول من نجـاح او فشل ، وفي سلم النجـاح درجات متفاوتة تبدأ بالمقبول وتنتهي بالممتاز المبدع ، وكذلك الامر في مقياس الفشل ، اذ انه يبدأ بالفشل الشريف وينتهي بالاخفاق الكلي الذي لا يمكن تبريره .

اما ما يقرر مقدار النجاح او الفشل فعدة عوامل منها ما تتصل بقيم مجتمع بذاته دون اي ارتباط بما تنهجه المجتمعات الاخـرى ، ومنها ما هو مرتبط بالمستوى الذي يضعه الفرد لنفسه ، ومنها ما هو مرهون بمستويات دولية تعارفت عليها الامم كاساس لدفع عجلة العلم والمعرفـة .

ان لكل مجتمع خصائص تميزه عن غيره من المجتمعات الانسانية ، بما في ذلك نظرته الى تحقيق ذاته واهدافه وخدمة الفرد فيه ودفـع الاذى عن مجموعه . ويكون لهذا المجتمع سلمه الخاص الذي يحكم على مقدار ما يقدم الفرد وتقدم الجماعة من خدمـة روحية وعلميـة واجتماعية . فلو فرضنا ان مجتمعا ما يقوم منجزات الفرد على اساس من القوة الجسمية ، وجب على الفرد ان يوجه عنايته الى تلك الناحية بالذات ، وهو ان فعل صعد خطوات على سلم الجهد وسجل جهـده نجاحا . اما في مجتمع تفرض قيمه واساليب عيشه الوداعة الشخصية، فتتجه جهود الفرد الى تنمية ذلك الجانب ، وهو ان فعل ، سمي لـه نجاحا . ولربما نظر كل من هذين المجتمعين الى الاخر بانه في عـداد المجتمعات الفاشلة .

ثم هناك المستوى الذي يضعه الفرد لنفسه ، وعلى اساسه تعتمر الفرد احاسيس ومشكلات تعصف به من كل جانب . فاولا يشعر هـذا الانسان بأن المستوى الذي قرره لنفسه مرهون بالمستوى الذي تطلبه منه الجماعة ، ومشدود الى التوقعات المرصودة له في العائلة والمجتمع. ولكن التفاوت بين افراد المجتمع من حيث مقدرتهم الشخصية علـى التطور والنمو يفسح له مجالا واسعا للصعود او الهبوط على سلـم القياس . وثانيا ، تبرز امام الانسان معالم مستقاة من حسه الداخلي المؤنب ، ومن ضميره الانساني الواعي ، تحثه علـى الاحاطة بجوانب نفسه وبعلاقته مع الناس وبسلوكه الفردي . وثالثا ، تظهـر لهـذا

حكايات حبنا

•

او انسى لقاءنا في العشيه
وحكايات حبنا العاطفيه
حين كانت تروي عيوني الاحا
ديث لعين المليحة القزحيه
تمتمات كانها اغنيات
وعتاب .. وضحكة لؤلؤيه
كلما بحت بالهوى تنثني
ثم تغضي الانظار وهي حييه
عليها من الحياء رداء
لم يدنس وامتعتي الروحيه
نظرات تميت قلبي وتحيي
عذرها كان انها عذريه

زحلة ـ لبنان   رياض معلوف

الانسان جوانب من الاعمال البشرية حققتها مجتمعات اخرى بفضل ما اوتي الفرد فيها من فرص وامكانات ودفع وتشجيع ، تبدو لاول وهلة بعيدة المنال صعبة التحقيق .

وهذا يدفعنا الى سلم المستويات الدولية التي هي في النهاية مقياس للفرد والمجتمع والامة في وقت واحد . وتدخل فيها اعتبارات تربوية فردية ، وتثقيفية جماعية ، وتعليمية قومية . وتشجع على بلوغها او تحد من تحقيقها صدف تاريخية ، وامكانات مادية ، وانجازات سابقة وتطلعات هادفة . وهذه المستويات تنعكس في العادة في التفوق العلمي والوعي القومي والاستقرار الاجتماعي .

ضمن هذه المحاولة لتعريف مفهوم المستوى ، يجدر بنا ان نلقي نظرة على واقعنا العربي ، لاستخلاص بعض النتائج والحث على التفكير فيها .

من الواضح ان في العالم العربي مستويات رفيعة على الصعيدين الاول والثاني اللذين ذكرناهما ، وهما ما يتصل بالمجتمع اولا وبالفرد ثانيا . ونحن لا نشير هنا فقط الى ما حققه العالم العربي من امجاد سابقة على المستوى الاجتماعي والخلقي والسياسي والفردي ، ولكننا نتخطاه الى منجزات هذه الامة في المرحلة الحاضرة . فما من شك ان مجتمعاتنا العربية الحاضرة قد نجحت في تجنيب نفسها اخطار التفرقة الداخلية والتمزق الضميري والعنف الجماعي الذي تشهده الكثير من المجتمعات الاخرى وما من شك ان تضحية الفرد العربي في سبيل عائلته ومجتمعه امر يحسده عليه الكثيرون من ابناء المجتمعات الاخرى .

ولكنه من الواضح ايضا اننا قد اخفقنا في اللحاق بالمستويات الدولية التي تقرر في النهاية مستقبل الشعوب . وقد اخفقنا ليس فقط فيما يتعلق بالمستويات العلمية ولكن ايضا في مجالات المنافسة الدولية من فنية وادبية ورياضية وترفيهية .

لا نستطيع في عجالة كهذه الخوض في جميع اسباب هذا القصور او وسائل معالجته ، ولكننا نكتفي بالقاء الضوء على ما نعتبره وسيلة اساسية من وسائل تحقيق المستوى الدولي .

وهذه الوسيلة تتلخص في اصرار الدولة والهيئات الرسمية والمؤسسات العامة على مستويات معينة يحققها الفرد سواء في مرحلة التحصيل العلمي ، او في مرحلة العمل بعد الانتهاء من الدراسة والتدريب ، او في مجال التعامل والتعاطي في عيش الامة اليومي . وهذا لا يعني ان نفرض مستويات دولية من البداية ، اذ ان العجز عن تحقيقها فورا قد يؤدي الى فقدان العزيمة ولكنه يعني اعادة النظر في متطلباتنا الدراسية والتدريبية وفي علاقاتنا بالقوانين والانظمة ، وفي تقييدنا لحرية الفرد المؤهل .

اولا : ان العالم العربي يعج بحاملي الشهادات من جميع المستويات وفي جميع الحقول . والشهادة في جوهرها اعتراف من الهيئة التي اصدرتها بان حامل تلك الشهادة قد تخطى مرحلة صعبة بنجاح وارتقى الى المستوى الذي يخوله القيام بما تفرضه الحياة العملية من شروط . فهل تعكس شهاداتنا العلمية هذا المفهوم ؟ وهل يشعر جميع حامليها بانهم بالفعل قادة في مجالات تخصصهم او انهم على الاقل قديرون على النمو والتطور بحيث يصلون الى مرحلة القيادة ؟ ام هل يشعر العديد منهم انهم حصلوا على مجرد مؤهل يوصلهم الى وظيفة تقيهم خطر البطالة وشر الجوع ؟ الم يحن الوقت لان نقف عند هذه الحقيقة ، ونطلب من اولادنا وبناتنا اكثر مما طلبناه في الماضي ؟ الم يحن الوقت لان نشعر اجيالنا الصاعدة باننا نحترمها ؟ الم يحن الوقت لان ندرك ان الانسان قادر على ان يعطي الكثير اذا هو شعر ان ما يطلب منه كفيل بتحدي فكره وتنمية عقله وصقل روحه ؟

ثانيا : ان الكثير من قوانينا وانظمتنا قد صيغت بدقة تفوق دقة ما يرد في قوانين وانظمة الدول المتقدمة ، وفيها من الشروط والبنود والحيثيات ما يثير الاعجاب . فما سبب فشلها في التنفيذ ؟ ولماذا لم تحقق مستويات عالية من الانجاز والتصريف ؟ لا شك ان السبب يكمن في انها قد ركزت ، في جميع انحاء العالم العربي ، على الناحية السلبية الهادفة الى منع العبث بدلا من ان تركز على الناحية الايجابية التي تهدف الى دفع العناصر القادرة والخيرة (وهي الاغلبية الساحقة من الشعب) الى الخلق والابداع . فنحن عندما نصر مثلا على ان تصدق معاملة ما من خمس او ست جهات او دائرة ، نكون قد منعنا حادثة عبث كل شهر ولكننا عقدنا حياة مئة مواطن كل يوم .

ثالثا : ان شبابنا العربي في الخارج قد تغلغل في جميع نواحي العمل والفكر والابداع ، وهناك المئات بل الالاف من شبابنا في الدول الاوروبية والعالم الجديد ، الذين قدموا ويقدمون كل يوم ثمرات فكرية وعلمية خلاقة ، ومنهم من ساهم بشكل فعال في دفع عجلة الطب والعلم والاختراع والصحافة وارتياد الفضاء ، بينما قصر من عاد منهم الى الوطن عن تحقيق كل هذا . اما الوسيلة المرجوة في تغيير هذا الواقع فهي في اطلاق حرية الفرد المؤهل في الاتجاه نحو البحث والدراسة والتنقيب ، دون تكبيله بقيود مادية او شكلية تحد من قدرته على الابداع .

ومع العلم بان هناك العديد من الحلول الاخرى لمشكلة المستوى ، فان هذه المقترحات اذا طبقت قد تسهم في ان تهيء المجتمع العربي ، بما يزخر به من طاقات فكرية وروحية ومعنوية ، ومن امكانات مادية وانجازات سابقة وتطلعات هادفة ، لان يمسك بزمام الفرصة التاريخية التي تفرضها على الشعوب قوى العدوان والتحدي وتنقلها الى مرحلة اعلى من مراحل التطور والنمو .

عمان ـ الاردن   البدوي الملثم







بقلم الانسة رينه عبودي

حرارة يوم صيفي ، انتصبت الاعلام وتجاورت المقاعد ، وتصبب العرق من جباه افراد فرقة الموسيقى . وردد شاب ممسكا مكبر الصوت :

– سيداتي ، سادتي، ايها الجمع الكريم .

كانت رائحة العلف والروث تنتشر مع اشعة الشمس ، منبعثة من الحجر الثلاث المعتمة ، الظاهرة هناك عند نهاية الساحة المستطيلة.

ان الساحة مفروشة بالحواجز الخشبية البيضاء . حواجز يستلقي بعضها فوق بعض افقيا ، وحواجز تنتصب على طول الساحة على شكل عمد يتعلق باذنها حلقة من حديد .

وردد الشاب في مكبر الصوت :

– سيداتي ، سادتي ، ايها الجمع الكريم .

وبتمهل مشت ذبابة على ظهر الصهباء ، فوق بشرتها الخمرية ، اللماعة .

كانت الصهباء مستغرقة بحفر الارض بقدمها واقفة عند الزاوية .

قال المدرب لرجل تبرع بخمسة اكياس من الشعير :

– لا شيء يهذب اخلاق المرء قدر مصاحبته للخيل . ان الخيل يا سيدي تهذب من طباع الناس .

واقبل هواء حار فرفرفت الاعلام الملونة ومسح رجال فرقة الموسيقى جباههم بالمنديل . كانت الفرقة تنتظر قرب المدخل ، في لباسها الرسمي .

ومن بيت جميل كانت امرأة عجوز تطل براسها وتراقب ما يجري في الجوار ، حيث ترفرف الاعلام وتتجاور المقاعد بانتظار القادمين . ويصدح صوت الشاب وهو ما يزال يجرب مكبر الصوت :

– سيداتي ، سادتي ، ايها الجمع الكريم .

★

ثمة ليلة بعيدة ، كانت الصهباء تعدو فيها ، كشهاب من جمال ، عبر الصحاري الممتدة الى ما لا حدود .. ثمة ليلة ساحرة . كانت الصهباء تعدو فيها بثقة واعتداد طروب ، نشوانة ..

ليلة بعيدة .

★

وصاح المدرب بعصبية :

– اسمعوا جيدا ما اقوله يا فتيان . اليوم يومنا . سيكون العرض نجاحا عظيما . ان مهمتنا تشجيع الفروسية في البلاد .

واضاف :

– يبدأ المهرجان بتحية العلم ثم

يدور الفرسان حول الساحة مرات ثلاث .

★

وتابعت السيارة الشاحنة طريقها في الصحراء .

نورها يتوهج في الظلام كعيني وحش لا اسم له .

كانت ترسل شخيرا مرعبا ويفوح منها رائحة القطران المحروق .

قوى عنيدة تقتحم الهدوء الممتد الى ما لا حدود .

وحش من حديد يجلس في

مقدمته رجلان .

★

وعزفت الموسيقى فجأة. ودخلت جماعات عديدة من الباب . كان الناس يرتدون الثياب الزاهية الانيقة . وتألق وجه المراة العجوز فرحا واغتباطا . وكان وجه المرأة طيبا وشعرها ناصع البياض . كانت تجلس على مقعد بعجلات وتضع يدها الجافة على حافة النافذة . وتزايد اقبال الناس . وكان بيتها بعيدا عن المدينة وما كان لها ان تشاهد في كل يوم مثل هذه الجموع البراقة .

ودنا رجل يحمل طفلا من الحجر الثلاث . ما ان شاهد الطفل الخيل عن كثب حتى بكى .

قال له الاب وهو يعود ادراجه :

– يا لك من ولد جبان . اتخشى حقا الاقتراب من الخيل ؟

وفكرت المراة العجوز بنفسها ، كم كان يبدو لها هذا المكان حزينا في الشتاء ، حين يستمر تساقط الامطار ساعات وساعات ويكون لون النهار قاتما .

★

كانت الصهباء في تلك الليلة تنتطلق باقصى سرعتها ، تنهب الارض نهبا .. والسيارة بعناد تطاردها وتطاردها .

كانت الصيحات الغاضبة تندلع كالشرر من السيارة ، يطلقها الرجل العصبي الجالس قرب السائق ، ذلك الرجل البرونزي اللون .

★

ودنا المدرب من الصهباء وربت على ظهرها وقال موجها حديثه لعريف الحفلة :

– لن تخذلنا الصهباء اليوم .

لكنه حين امعن النظر بها ، قال :

– ما بالها ؟

وبسرعة قدم لها قطعة من

مـــاذا؟

وماذا ؟! اذا مــا احتواني الحنين — اليــك وأرق جفنـــي السفـــر
وكنـت انتظـارا يحب ويهفــو — ويرســم في الحلـم احلى صور
ويسعى مـع الوهـم في كـل درب — ويرعـى خطـاك ويقفــو الاثـــر
فهـل أنـت في الـدرب الا احتمال — وهــل أنـت الا ربيـــب الضجـر

وماذا ؟! اذا مـا طوانـــي الحنين — وأومض مــن مقلتيـك رجـــاء
وأرمضني ، بعـد ، طـول المسير — وغيبت الــدرب وقـــع النـــداء
أيمكـــن للقلـــب أن يحتويـك — وهــل يسع القلب كــل ضيــاء
فانـــي أحـب وانـي أتـوق — ولكني جـرم يجـــوب الفضاء

ومــاذا ؟! اذا مـا احتوانـي الحنين — وكنت انتظـارا وكنــت احتمال
أأملــك مـــن أمرنــا مــا أريــد — أأملــك الا ارتعـاش الســؤال
وذكـراك .. حـين أتيـت تلبـي — ودربي خلت والامانـي ظـــلال
وذكراك .. صوتـا يقـول تعالـي — فمـــا أنت حلمـا ولست محـال

دمشق — سلافة العامري

السكر كانت في جيبه .

★

وربطوها بقسوة ما بعدها قسوة على ظهر الشاحنة . كـان جسدها ينتفض وجلدها الخمـري يتصبب منه العرق .

★

وضحك المدرب قائلا :

ـ هيا ، هيا يا صهباء ، سيحين دورك بعد قليل .

واضاف :

ـ اعلم انك بحاجة الـى جولـة تبعدك قليلا عن هذا المكان .. اعلم ان نفسك قد ملت التكرار .. القفز كل يوم فوق هذه الحواجز .. اعلم ان نفسك قد ملت هـــذا المكـــان الضيق المحدود .

كان المدرب في العقد الثالث مـن العمر ، خمري اللـــون ، يضـــج حيوية .

★

حسبت انها نجت ، افلتت اخيرا من هذا الشر الذي احيق بهـا .. لكن عادت ايديهم تربطهـا بشراسة الى الشاحنة .

لم تتمكن من الهرب ، لا هـــذه المرة ولا في اية مرة لاحقة .. انتهى الامر بالنسبة لها .

★

وفي الزاوية كانت الصهباء تحفر الارض بقدمها .

تقدم منها فارس صغير ، فارس لا يتجاوز السادسة . كـان يمسك سيفا صغيرا ويرتدي لباسا بدويا . ساعده المدرب على اعتلاء ظهرها . وصفق الجمهور متحمسا .

« هيا يا صهباء » .

وظلت الصهباء في مكانها لا تحفل . نظر المدرب اليها بخوف وعـــاد يربت على جلدها الخمري اللماع .

« هيا يا صهباء » .

وبحرارة ثـم بغضب امســك برأسها ، بشعرها .. وشدها اليه وصاح باذنها هامسا « هيا » .

وكأنه اراد ان ينتزع الفرس من حالتها الغريبة بهـذه الصيحة ، او ان ينتشل نفسه مـــن الاضطراب « هيا ، يا صهباء » .

وفجأة تحركت اقدامها بتثاقل وتقدمت خطوات .. ثـم انطلقت بثقة واعتداد تعبر الساحة . كـان الفارس الصغير في منتهى المهـارة ، يرفع الحلقات ، حلقة بعـد الاخرى من اعلى العمـــد .. وضج الناس بالتصفيق .

★

وحين عاد السكون وهدات حركة ذلك اليوم العظيم ، تفرقت الجموع واعيدت المقاعد الى اصحابها وضم الليل قبضته على الساحة المستطيلة على الحجر الثلاث ، واطـل القمـر وغمر المكان بنوره الهادىء وترامت اصداء موسيقى عازف يقطـــن في الجوار ، فبدت الصحاري البعيـدة كالحلم .. الصحاري الممتدة الـى ما لا حدود .

ولم تعد تشعر الصهباء انهـا في منفى .. او هكذا خيـــل للمدرب وهو يقفل باب الاسطبل عليها حيث تنتشر رائحة العلف والروث .

حلب — رينه عبودي



غنيت في مأتمي

ديوان شعر – لعمر أبو ريشة – ١٤٢ صفحة – منشورات دار العودة ببيروت

الشاعر الحق من يهزني بجمال رؤاه وصدق تجربته ، أما ذلك الذي يضلني في متاهات عتمة لا اعرف فيها موطيء قدمي ، ويدمي قدمي وأنا آسير معه في طريق وعرة فهو انسان عاجز يستر عجزه بالظلمة ليوحي بالابتكار .

وشاعرنا أبو ريشة من شعرائنا القلائل الذين عرفوا بطرافة الخيال وجمال المعاني ، ولكنه ايضا ممن عرفوا بضآلة انتاجهم في السنوات العشر الاخيرة لاسباب لا مجال للبحث فيها الآن . وانطلاقا من معرفتي المسبقة بفن أبي ريشة تناولت ديوانه الجديد « غنيت في مأتمي » بشغف زائد ، كذلك عمل العنوان على شدي اليه فسرت متجولة بين الصفحات مصغية الى الخافق الكبير الذي عودنا أبو ريشة سماع ضرباته كلما أصغينا الى لحن من الحانه .

لم يكن الديوان اكثر من مجموعة صغيرة يزيد عدد المقطعات فيها على عدد القصائد ، التزم الشاعر فيها الاوزان التقليدية ولم يتجاوزها الى وحدة التفعيلة ! هذا من حيث الشكل اما من حيث المضمون فان الغزل هو اللون الغالب في الديوان ، ولكن الشاعر لا يكتفي بالحديث عن نفس اضناها الهوى وتيمها الوجد فينطلق من الواقع ليصور الاغتراب الذي هده فانكفأ ينوء بعبء السنين ويعاني من شيخوخة لا تستطيع ان تكتم ذاتها :

آن للنعش الـذي أودعتـه كـل احـلام الصبا ان يدفنا

وتجيش احاسيسه حين يتذكر عمرا أمضاه بعيدا عن الوطن :

جناحه بعدما طـال المطاف بـه مخضب من شظايا الشهب منكسر
يمشي الهوينا على صحراء رحلته وصحبه الليل والاشباح والسهر

ومن خلال وجدانه الذاتي تتراءى جوانب من القضية القومية ، ولكن الشاعر لا يعكس اصداء الواقع مؤيدا رأيا معينا او فكرة معينة ، كما يفعل غيره من الشعراء ، انه يصور احاسيسه تجاه قضايا قومه تصويرا موجزا صريحا سالكا في ذلك سبيل الالتزام الحر لا منهج الالزام الذي يبعد كثيرا مما يقوله شعراؤنا عن مقومات الشعر الاساسية .

من هذا المنطلق كان حديثه عن الشهيد وتصويره لابتسامة التحدي المرتسمة على شفتيه وهو يودع الحياة مضحيا بروحه من أجل الوطن ، كذلك منه صلاته الى الله التي ينطلق فيها من جمال بلاده الاخاذ وخيراتها المتدفقة وتكريمها من الله بالرسالات السماوية الى ما تعيش فيه من ذل وهوان .. تناقض عجيب كيف يعيش في هذه الطبيعة الجميلة اناس اذلاء هانت عليهم انفسهم وهانت عليهم اوطانهم ؟! وهنا يدعو الله ان يجعل هذه البلاد جدباء قاحلة وان يخصبها بالرجال الاقوياء لكي يبعد عنها عار الذل :

كيف نمشي في رباها الخضر تيها واختيالا
وجراح الذل نخفيها عـن العز احتيالا
ردها قفـراء ان شئت وموجها رمالا
نحن نهواها على جدب اذا اعطت رجالا

وبالاضافة الى احاسيس الشاعر القومية والعاطفية يمكن ان نرى في الديوان شيئا آخر ، ثلاث قصائد رثاء قال اولاها في مهرجان الاخطل الصغير والثانية في تابين الاخطل الصغير والثالثة في رثاء أميل البستاني الذي شيد لنفسه ضريحا ولكنه ذهب في البحر ولم يعد .

فالديوان اذا مجموعة من الانطباعات الوجدانية بقلم اقل ما يقال فيه انه ريشة فنان يعرف كيف يجمع بين النغم المتدفق والصورة الطريفة والفكرة الواقعية الصادقة .

ونظرة فنية نلقيها على الديوان تبين لنا قوة الابداع عند الشاعر ومقدرته الرائعة على تكييف الفكرة تكييفا يدل على سعة خياله ودقة احساسه ومهارته في تمثيل التجربة الانسانية العامة ! فهو حين يحكي لنا قصة هؤلاء الذين قست عليهم الحياة فوجهت اليهم صفعات قوية نسوا معها كيف يكون الاحساس بالحياة ، ولم يعد عندهم فرق بين اللذة والالم نراه يهمس في اذن صاحبته ان تمضي لشانها ساكتة ولا تسأله لماذا يعيش هؤلاء الاشقياء لانه واحد منهم :

أنستهم الايام مـا ضحك الحياة وما البكاء
أزرت بدنياهم ولـم تترك لهـم فيها رجاء
تتساءلين .. وكيـف أعلم ما يرون على البقاء
امضي لشانك اسكتي أنـا واحد مـن هؤلاء

والصورة عند أبي ريشة طريفة وملونة . ولكنها لا تضلل الفكرة في متاهات عتمة متسترة بفرية الرمزية . كذلك فانـه لا يقطع صلته بأصله العربي ، فتجديده مبني على أساس من البلاغة العربية ، أضاف اليها الشاعر ثقافة واسعة ألمت بكل المذاهب الادبية واخذت منها ما يناسب الروح العربية ، اخذته لتخرجه اخراجا جديدا فيه لمسات العبقرية ولم تاخذه من أجل التباهي والتمرد على تراثنا الادبي والفني، ففي مقطوعة « جراحي » يحكي لنا الشاعر قسوة الدنيا عليه وانسداد السبل امامه فتأخذنا روعة الفن وطرافة الخيال ، ولكن امعاننا في وجه الشاعر يكشف لنا عن تقاطيع عربية أصيلة صقلتها روح العصر فازدادت جاذبية وحلاوة :

رب ضاقت ملاعبي في الـدروب المقيـدة
أنـا عمـر مخضب وأمـان مشـردة
ونشيـد خنقـت في كبريائـي تنهـده

وبالاضافة الى تجسيم المعنويات وتلوينها تزيد الصورة المتحركة من اشراقة الفكرة وطرافة الخيال عند أبي ريشة حتى ليخيل الينا أننا أمام عالم مسحور بعثت فيه الحياة في كل شيء . لقد كان الشاعر محبا أما الآن فان كل شيء تلاشى واسدل ستار مظلم بينه وبين ماضي حياته المفعم بالحب ، واذا كانت صاحبته تريد ان تتذكر الماضي فلتنظر الى الشاعر كيف سيوصلها اليه :

انها حجرتي ... لقد صدىء النسيان
فيها وشاخ فيها السكوت
ادخلي بالشموع ، فهي من الظلمة
وكر في صدرها منحوت
وانقلي الخطو باتئاد
فقد يجفل منك الغبار
والعنكبوت !!

وهكذا فان قارىء شعر أبي ريشة يطمئن الى أن الدعائم التي

يقوم عليها التجديد العربي الصحيح دعائم قوية وان الالهام العربي المبدع ما زال بخير ، لان الشاعر ـ كما قلت ـ لا يتمرد على طرق البلاغة العربية ، ولكنه لا يمد يده الى البرود القديمة المزركشة لياخذ منها قطعا يرقع بها بزته ، لانه يعلم ان ما يناسب الماضي لا يناسب الحاضر ، فالذوق قد تطور والحياة قد تطورت ، انه يبني على أساس من القديم ولا يجد مانعا في احيان كثيرة من استخدام الاسلوب العربي ذاته في التشبيه والاستعارة والكناية ، ولكن منطلقه هو واقعه وخياله وبيئته . يقول في تأبين الاخطل الصغير طالبا منه ان يزور الدنيا زيارة قصيرة ليلخص مع الشاعر حياته الماضية :

وما عليك اذا ما الزورة اختصرت بعض الربيع ببعض العطر يختصر

ففي هذا البيت تشبيه ضمني يجعل عودة الشاعر الخيالية الى الدنيا تلخيصا لحياته الماضية مثلما يختصر العطر روائح الربيع العبقة . وفي القصيدة ذاتها يحدثنا عن تجلد بشارة الخوري امام الالم واخفائه ما يعاني منه عن اصدقائه الى ان ادركه الموت فجاة فكان في ذلك كالاشجار التي لا تنحني للموت :

وأنت تكتم عنا ما تكابده تموت وهي على اقدامها الشجر

ومع ذلك فان البناء الكلاسيكي للصورة لا يشغل الشاعر الا في مواطن محدودة تقتضي مثل هذا البناء ، فهو شاعر مجدد يعمد الى الطرافة والابتكار دون ان يقطع صلته بثقافته العربية ، لننظر مثلا الى هذه الصورة الفنية التي عبر بها عن ذيوع صيته واشراق نجمه :

وصاحب أقدامي في التر بحديث العطر الى النسمة

ولكن الدنيا التي اقبلت لا تلبث ان تدبر فيعجب الشاعر من المصائب تتناوله واحدة بعد الاخرى ويظن ان الذي القى به من عليائه لم يكن غير نجمة مسته فاحترق جناحه :

مالي أهوي .. وأحس الغيمة تهوي بي اثر الغيمة

لاظـن .. جناحي محترق محترق من لمسة نجمة

وفي مثل هذه الرؤى الابداعية تتأكد لنا أصالة الشاعر ورسوخ قدمه في التجديد ونقول ونحن مطمئنون : ان الادب العربي بخير فهذا شاعرنا الفريد واحد شعرائنا المجددين يعود بعد طول الطواف والتحليق قوي الجناحين ملتهب الشاعرية يستمد قوته والهامه من جذوة عربية متقدة .

دمشق سكينة الشهابي

●

اللعبـــة

قصة ليوسف الصائغ ـ ٢٣٣ صفحة ـ مطبعة الاديب ببغداد ١٩٧٠

هل اللعبة لعبة ...؟ قد يكون هذا ولكن الافضل ان تعاد قراءتها . انها لتبدو للوهلة الاولى من حيثانها حدث ـ واظن انه يشغل القارىء اكثر من غيره في المرة الاولى ـ مجرد ترف برجوازي تلعب الصدفة التي لم يقف عندها الكاتب طويلا ليقنعنا بوقوعها ـ وهي نقطة ارتكاز القصة ـ تلعب فيها دورها . بيد ان هذا الترف يعرض بلغة شاعرة سليمة في القالب . ولكن القراءة الثانية المتمهلة تجلو أشياء لم تكن لتلفت النظر في المرة الاولى . ان الكاتب اذ يكتب يرسم حتى انه ليدع الشخوص تتحرك امام اسماعنا وابصارنا ، وانــه حين يرسم خطوط الشخصية تحس كأن تصرفاتها لا يمكن ان تكون غير هذا : لعبة الدكتور رافع لمجرد اللعب ، الشك الذي ما تكاد تسال عنه حتى تجسده . فرافع في البداية لا يتعدى ان يلوم نفسه على لعبته ، اما وقد اخفت عليه زوجته امر ما يدور في التلفون فان هذا يشكل تبريرا لشكوكه .

ان اللعبة لتنقلب عند هذا الحد من مجرد لعبة الى اختبار سلوك الزوجة وارتباطها به . والكاتب يتابع هذا الخط بحذق ومهارة فهو لا يكتفي بعرض ما يدور بخلد رافع وانما يتعداه الى تصرفاته معها التي ترسم مدى الهزات التي يعانيها في داخله بحيث يعاملها معاملة مومس في صالة السينما . ولا اظن هذا هينا فالقصة مهما كانت دقيقة في الوصف لن تصل الى تصوير هذه الشكوك في انفسنا كما وصلت اليه حين رأينا شكوكه تسيطر على تصرفاته وتتحكم بها لدرجة تنقلب عندها الزوجة مومسا .

ولعل في هذا خطا جديدا يضاف الى خطوط شخصية « رافع » ونفسيته التي توحي لنا القصة بان فيها شيئا من السادية التي منبعها هنا المكابرة .

وبكلمة واحدة تستطيع ان تقول ان الاعجاب يظل يلازمك وانت تقرأ وانها لتشدك اليها . ولكن الى متى يظل هذا الاعجاب رفيقك ..؟ انه ليكاد ينقطع عند الفصل العاشر لولا ان ذكاء الكاتب تنبه اليه فجاء اختراع شخصية الاخت « أخت غلواء » . والكاتب اذ يبتعث هذه الشخصية فكأنما يريد ان يجرد منها شخصية تمثل شكوك « رافع » بالذات :

« أتقول انك كنت تتصل بها في مثل هذا الوقت ..؟ »

. . . . .

« وتحدثها ؟ عجبا ! ما الذي تقوله لها »

« ولكن ما الذي يدفعها لان تصغي اليك ؟ » ... ص ١١٠ – ١١١

وتدور فصول على هذه الشخصية التي فيها شيء من التنامي خلاف الشخصيات الثانوية الاخرى فهي شخصيات مسطحة لم تؤد دورا في القصة . وتقرأ هذه الفصول برضى . ولتقتنع بهذا . فان ذاك الشغف الذي رافقنا في الفصول الاولى قد انقطع عنا ... ثم ماذا؟

ان الكاتب ليبدو وكأنه بدأ يتعب ان يكتب او ان طول النفس لم يسعفه فبدأ محاولة جديدة يدفع بها هذا الملل الذي أطل برأسه من جديد . غير ان المحاولة تنصب هذه المرة على الاسلوب . فقد بدأ يتابع الحدث بطريقة المذكرات ولكنه أطال فانزلق في فخ ثان . والا فقد كان بامكانه ان يختصر الفصل الخامس عشر بصفحة او صفحتين دون ان يفتقد شيء . وما يكاد ينهض حتى يقع ثانية في الفصل السابع عشر . ويحار فيما يفعل وتبدو هذه الحيرة ممثلة بزيارة الطالبتين ومرض رافع وحفلة رأس السنة . فكل هذا مما لا تفيد منه القصة شيئا الا توثيق صلتها بالحياة مما يدفعني الى ان اظن انه قد احس بانه انتهى مما اراد قوله فبدأ يحشو الصفحات شافعة في ذلك لغة شاعرة كان لها ان تاسر القارىء لولا ما يتنابه من سأم اذ يسمع رنين جرس التلفون أنى اتجه . فهو شاخص امامه في كل فصل مع فارق عن الفصول الاولى هو ان الحوار بدأ في بعض الصفحات عاديا .

ويظل الكاتب يقظا ينقد ما يكتب ولكن رغبته في التطويل هي التي جعلته يبدو على ما هو عليه .

ولندع التلفون وشأنه . فهناك ازمة « رافع » وتمرده على القيم التي يؤمن بها . واذ توفق القصة في تصوير هذه الازمة بحيث يعاودك أمل في ان تجد شيئا فانها تقع في الفخ التقليدي . وتعاود الكاتب الطراوة التي رافقته ولنا ان نلمس هذا في اواخر الفصل الثاني والعشرين والفصلين اللذين يعقبانه . ولعل قرب القصة من نهايتها هو الذي حفز الكاتب الى ان يستجمع قواه فيبعث فيك الامل من جديد بعد ان كاد يخيب .

واذا تعديت كل هذا الى ما هو أبعد وجدت ان الكاتب اذ يصور علاقة الزوج بزوجته والحقوق المعترف بها من قبل كلا الطرفين يرمي الى علاقة اوسع يتحرج الكاتب في الكشف عنها باكثر مما كشف . وهنا تدرك سر الصدفة التي يقف عندها القارىء طويلا ليقتنع بها لا لشيء الا انه منطق الاحداث التي غالبا ما تقع تحت ظروف معينة .

ولعل نهاية القصة المفتوحة مما يؤكد هذا .

واخيرا فالبرغم من اللغة العالية التي تطاوع الكاتب فان بعض الهنات اللغوية التي وقع فيها الكاتب تبعث فيك السؤال . فهو يستعمل صيغة « ملول » الصفة بمعنى اسم الفاعل « ممل » ص ٧٧ مثلا . ويدخل اللام التوكيدية على الخبر في مثل قوله « وهو ليريدها ص ١٢ » و « وهي لتتمنى ص ٥٦ » مثلا . ويبقى سر عداء المطبعة – في أحسن الاحتمالات – مع همزة « ان » بحيث لا أجد معه حاجة الى الاستشهاد . وليكن تسمية القصة ب « رواية » من عداء المطبعة ايضا .

ومهما يكن من امر فان اللعبة تبقى علامة مضيئة في طريق القصة العراقية التي نرجو لها ان تمهد .

بغداد – كلية الآداب
محمد حسين الاعرجي

•

في اللغة والادب

تاليف الدكتور ابراهيم بيومي مدكور – سلسلة « اقرأ » عدد ٣٣٧ يناير ١٩٧١ منشورات دار المعارف بمصر

كتاب صغير في حجمه عظيم في قيمته ، يضم بعضا من المقالات وعددا من المحاضرات ، سماه مؤلفه الدكتور ابراهيم بيومي مدكور « في اللغة والادب » لانك ستقع فيه على آراء متنوعة في الشؤون اللغوية وتأملات عفوية في القضايا الادبية ، وقد صدر عن سلسلة « اقرأ » العدد ٣٣٧ يناير ١٩٧١ .

والدكتور المؤلف علم من أعلام الفكر ورجل من رجال الثقافة ، ضرب في طريق المعرفة ، سلاحه الرأي الحر والفكر المتفتح والاطلاع الواسع ، ولا تقف شهرته عند العرب فحسب ، وانما تجتاز الحدود الى بلاد الغرب حيث المؤتمرات والمنتديات ، في ميادين المعرفة كافة ، وهو من جملة المفكرين العرب الذين زاوجوا بين الادب والفلسفة فاغنوا الادب كما اغنوا الفلسفة .

وقد جعل المؤلف كتابه في اربعة ابواب : الاول منها في اللغة ، والثاني في المصطلح العلمي ، والثالث في المعجمات ، والرابع في الادب.

ففي الباب الاول تسع مقالات في اللغة تكاد الواحدة منها تتمم الاخرى وتؤدي اليها ، والمؤلف في هذا الباب لا يتعرض للمشكلات اللغوية الخاصة بدوائر اللغة والمهتمين بها ، ولا يناقش نظريات علمية او يلقي دروسا نظرية ، وانما يتناول هذه الامور من حيث صلتها بالفكر والحياة والكشف الحضاري ، بغية اعطاء فهم جديد للغة يجعلها اكثر تمشيا مع مقتضيات العصر ، ويجعلنا نحن المهتمين بها اكثر انفتاحا واشد تفهما لسر عبقريتها ومفتاح فاعليتها ، والكاتب لا شك من المؤمنين بسنة التطور ، وحركة التغير ، قال بذلك ارسطو كما قال به كثيرون من فلاسفة التاريخ المتوسط والحديث ، الى ان جاء هربرت سبنسر فاقام هذه السنة على ضوء التقدم العلمي وقوانينه فاخذ بها الناس جيلا بعد جيل وعاما بعد عام ، وانطلاقا من هذه النظرية الثابتة يذهب الكاتب الى ضرورة تطوير اللغة لا من خلال عوامل خارجة عنها بل من خلال ذاتها وتاريخها واصولها، فهو يعرض لآراء القدماء وطرائقهم في القياس والاشتقاق الى ان يصل الى قوله : « ولم يبق شك في ان من حق علماء اللغة ان يجتهدوا ويقترحوا ما من شأنه ان ييسر العربية وينهض بها ، فهم يشتقون ويقيسون اولا ، وقد يلجئون الى العامية ليأخذوا منها ما يسد حاجة العلم والحضارة ما دام يقوم على أصول عربية ، فان أعوزهم كل ذلك فلا ضير عليهم من ان يأخذوا بالمعرب

الذي تدعو اليه الضرورة ، وواجب العلماء والباحثين ان يتمكنوا من لغتهم تمكنا يعينهم على تخير اللفظ الملائم لمعناه ، ولا ياخذون باللفظ الاجنبي الا عند الضرورة » .

وواضح من ذلك غيرة الكاتب على العربية ورغبته في التقدم دون اخلال بالمنهج العلمي الذي يحشد نفسه من أجله ، فلا يركن الى الهوى ولا يميل الى التهور .

واما الباب الثاني وهو يشتمل على اربع مقالات فهو خاص بالمصطلح العلمي ، وقد اولاه الكاتب عنايته ورعاه حق رعايته ، ذلك انه « لن يستقيم منهج الا ان قام على مصطلحات خاصة يؤدي بها العالم الحقائق التي يعالجها ، وقديما قالوا : العلم لغة احكم وضعها ». ويرى ليبنتز « ان معظم الخلافات العلمية يرجع الى خلاف على معنى الالفاظ ودلالتها » . والكاتب يرى ان تطور العلم تطور لمصطلحاته بقدر ما هو تطور لآرائه ونظرياته .

وقد ذهب الى تقرير مبدأ الحرية العلمية وان قداسة متن اللغة لا يصح ان تقف عثرة في سبيل البحث والتقدم العلمي ، وهذا يعني ان نسهل امام العلماء السبيل فنسمح لهم ان ياخذوا من الفصائل اللغوية الاخرى وان يستعينوا احيانا باللغة الدارجة ، ولا بأس عليهم ان ياخذوا عن لغة اجنبية فيعربوا بعض الفاظها ، فكما تتبادل الافكار والمعاني تتبادل الالفاظ ، ولكن لا يجوز ان تترك حرية العالم في وضع المصطلحات تبعا لهواه وحده ، بل لا بد من ان يقره على ذلك أهل العلم والمختصون ، وهنا تبدو اهمية الجماعات والهيئات العلمية في تكوين المصطلحات واستقرارها ، ولم ينس الكاتب ان يشير الى جهود المجمع اللغوي في هذا المجال .

وفي مقال آخر عن نشاة المصطلحات الفلسفية في الاسلام تبدو ثقافة الكاتب الواسعة ، وقدرته الفائقة على تقصي الحقائق والتنقيب عنها ، فهو يرى ان المصطلحات الاسلامية صدرت وتكونت عن ناحيتين هامتين هما جماعة المعتزلة من جانب وجماعة المترجمين من جانب آخر ، ثم ياخذ بالتفصيل في اثر كل من هاتين الجماعتين في هذا الميدان بعد ان يعرض بايجاز لتكوين كل منهما وانشغاله بما ذهب اليه . وهو يدعونا الى حصر المصطلحات القديمة واحيائها واخراجها الى سوق التداول العلمي الحاضر ، ثم الى الاستفادة من اجدادنا وطرائقهم في هذا المضمار . ذلك ان المصطلح العلمي المعاصر لا يزال قلقا ودون الحاجة ، فيه بلبلة واضطراب في الحديث والكتابة ، فيختلف من بلد الى بلد » بل من مؤلف الى آخر .

وينتقل في الباب الثالث الى الحديث عن المعجمات العربية ، ويضم هذا الباب ثلاث مقالات اختصت الاولى بفن المعجمات ، والثانية بالمعجم العربي في القرن العشرين ، والثالثة بالمعجم الابجدي ، والكاتب يشير الى اهمية المعاجم ويدعو الى تطويرها بحيث تلائم مطالب العصر وحاجات المجتمع ، فالعرب قد سبقوا الامم في هذا المضمار فتنوعت معاجمهم وتعددت اشكالها ، وكان لاصحابها آراء ومذاهب في اللغة ، الا ان هذه المعاجم لا تخلو من الاخطاء والعيوب على الرغم من غزارة مادتها وسعة اطلاع اصحابها ، فهي تقف بالاحتجاج عند القرن الثاني للهجرة فتهمل عصور اللغة الاخرى ، ولا تعبر عن العصر الذي تعيش فيه ، والحقيقة ان كل عمل سالف لا بد ان نجد فيه بعض المآخذ اذا نحن أخضعناه لقانون التطور ، وكأنما فات المؤلف ان هذه المعجمات انما تقاس بمقاييس زمانها وأحكام اصحابها ، فلقد وقفوا هذا الموقف الصارم من اللغة رغبة منهم في حفظها من الفوضى وحمايتها من الضياع ، فلا تذوب شخصيتها ولا تضمحل اصولها وخاصة بعد ان فشا اللحن واختلط العرب بالاعاجم لا على المستوى العلمي فحسب وانما على المستوى الشعبي .

وقد لاحظ المؤلف ان معاجمنا الحديثة اخذت بالانفتاح ومجاراة العصر فتحدث من جهود الشدياق والبستاني والشرتوني في ذلك ، ولم يفته ان يقف قليلا لينبه الى ما بذله المستشرق الالماني « فيشر » والى معجمه التاريخي الشهير وان هذا المعجم لم يخرج الى النور بعد . كما أشار الكاتب الى نشاط مجمع اللغة العربية ودوره في اخراج المعجم الكبير ثم المعجم الوسيط ، ثم الى ظهور معاجم المصطلحات الطبية والزراعية وغير ذلك .. وفي هذا دليل كاف على تقدم المعاجم في عصرنا الحديث وتطورها على ضوء ما طرأ على العالم العربي من تغير وتبدل في الميادين الفكرية والعلمية ، غير ان الكاتب يدعو دائما الى التيسير والتبسيط ، ومن مظاهر هذه الدعوة قوله : « ان ابسط الامور في تبويب المعجمات ان ترتب الكلمات على حسب نطقها لا على حسب تصريفها ، ومن اليسير تطبيق ذلك على العربية وان تكن لغة اشتقاق». وفي ذلك اعفاء للباحثين من مشقة الاهتمام بقواعد الاشتقاق والتصريف.

واما الباب الرابع فهو في الادب ويشتمل على اربع مقالات : الاولى عن الشعر ، والثانية عن القصة والثالثة عن الادب العربي تجاه مشكلتي اللغة والحرف ، والرابعة عن ادبنا المعاصر .

والكاتب يرى ان الشعر يرتكز على دعامتين اثنتين لا وجود له بدونهما ، وهما الخيال والموسيقا ، ثم ياخذ بالحديث عن قيود هذا الفن وضوابطه كما يعرض لشيء من تطور وزنه ، ويصل الى انه ليس ثمة من ينكر على الشاعر حقه في الابتكار والاختراع ، ولا من يضيق عليه حريته ما دام لا يحول الشعر الى مرسل او مقيد ، والكاتب يبارك الادب المعاصر وينتصر له لانه قد تمكن من التعبير عن احساس الامة ووجدانها ، واخذ يساير عصر السرعة الذي نعيش فيه . والمؤلف عندما يتساءل عن منزلة الادب العربي بين الآداب العالمية الكبرى يحاول ان يحدد مدلول الادب العالمي بقوله : « وعندي انه ذلك الادب الذي يعالج الانسان والطبيعة معالجة فيها أصالة وابتكار ، فهو ادب مبدع خلاق يسمو على الزمان والمكان ، ويصبح ملك الانسانية جمعاء ... والادب الفني الباهر في غنى عن الحسب والنسب والاعتداد بالجنس والوطن ، وله من قيمته الذاتية ما يؤهله للذيوع والخلود » .

وهذا الباب على العموم مجرد انطباعات خاطفة عن الادب العربي وآراء عفوية في موضوع التطور الادبي ، غير ان الحديث عن مشكلتي اللغة والحرف يثير بعض الامور الهامة حول التعبير والكتابة . والمؤلف مع هذا يصدر عن رأي حصيف ومعرفة واضحة في كل ما يعرض من آراء .

هذا هو الكتاب لا يعطيك صورته تحليل سريع او عرض خاطف ، يغريك بقراءته وضوح الافكار وأهميتها ، وقدرة الكاتب الفائقة على تبسيطها والربط فيما بينها ، ولا عجب فالمؤلف ممن مارسوا الكتابة منذ عهد بعيد فانتفع به الاقربون كما انتفع به الابعدون ، كما سترى ان هذه الافكار الهامة والموضوعات المفيدة قد جاءت في ثوب من الادب قشيب يخفف جفاف العلم وخشونة المادة ، فلا تحس في كتابته الا بالذوق المرهف والاناقة المحببة والبعد عن الاغراب والسرعة في الفهم والركون الى الاقتناع ، فجمله تمتاز بالقصر والهدوء ، والاتزان والتوازن ، والفاظه دقيقة معبرة لا لغو فيها ولا تزيد ، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي يقول في معرض حديثه عن الفكر واللغة وهو من امتع احاديثه : « وآية الفكر الدقيق تعبير دقيق يؤديه ، والعبارة المحكمة تؤدي عادة الى تفكير محكم».

غير اننا نقع احيانا على تكرار واضح في بعض الامور ، وتشابه ملموس في بعض النقاط ، وربما كان ذلك لاهمية هذه النقطة او تلك الامر ، غير ان المعجب حقا في هذه المقالات بناؤها المتقن وتصميمها الاخاذ ، فلا تند فكرة ولا يشرد خاطر ، ذلك ان فن المقالة كثيرا ما استهان به بعض الناشئين من الكتاب فسيجدون اصول هذا الفن على صفحات هذا الكتاب .

حلب

محمد كمال

ديوان لقيط بن يعمر الايادي

تحقيق خليل ابراهيم العطية ـ ٨٢ صفحة ـ سلسلة كتب التراث ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ مطبعة الجمهورية ببغداد

لا يزال التراث العربي حافلا بالكنوز الثمينة والذخائر النفيسة وكلما توغل في اعماقه غواص ماهر خرج بصيد رائع والسيد خليل ابراهيم العطية الاستاذ المساعد بجامعة البصرة تعود الصيد الرائع نتيجة الجهود الموفقة والادمان على التجلد والمعاناة من أجل اغناء مكتباتنا العربية بالكنوز والذخائر فقد حقق دواوين الشعراء المذكورين : المزرد بن ضرار الغطفاني وليلى الاخيلية وتوبة بن الحمير الخفاجي ومسكين الدارمي وعمر بن قميئة واخيرا وليس آخرا ديوان لقيط بن يعمر الايادي الذي بين ايدينا الان .

الشاعر هو لقيط بن يعمر بن خارجة بن غوثبان الايادي شاعر جاهلي مقل يرقى عصره الى القرن الرابع الميلادي كان سريا من سادات قومه نزل الحيرة واطلع على أسرار الدولة الفارسية وعاش في بلاط ملكها كاتبا ومترجما الا ان بعض المؤرخين يعتبر وجوده في البلاط رهينة عند كسرى عن أياد لئلا يعيثوا .

اما أياد فهي قبيلة عراقية معروفة ينتهي نسبها الى معد بن عدنان سكنت باديء الامر في سروات تهامة الى حد نجران وما والاها واتجهت طوائف وجماعات صوب الشمال فتفرقوا بين سواد الكوفة فكانوا عرضة لغزوات ثم صاروا يغيرون ويغزون فاقلقوا الفرس حتى انهم اصابوا امرأة منهم تدعى « سيرين » في احدى الغزوات فغضب كسرى واستشاط وقرر القضاء عليهم فجهز الجيوش وعد العدة ، وكان يقع ذلك على مرأى ومسمع من الشاعر فكتب الى قومه محذرا منذرا :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من أياد
بان الليث كسرى قد أتاكم فلا يشغلكم سوق الكساد
أتاكم منهم ستون ألفا يزجون الكتائب كالجراد
على حنق اشيتكم فهذا أوان هلاككم كهلاك عاد

واستعدت أياد لهذا اللقاء ثم التقى الجمعان بدير الجماجم وكان على رأس أياد بياضة بن رباح فدارت الدائرة على جيوش الفرس وهزموا شر هزيمة .

تالم كسرى لهذا المصير وأخذ يعد العدة للجولة الثانية ولما أتم تجهيز جيوشه واستعدادهم للحرب بكامل العدة والسلاح كتب لقيط الى قومه واحدته التي يحذرهم ويحرضهم على ملاقاة العدو ويصف لهم فيها الخيل الى ان يقول :

بل أيها الراكب المزجي على عجل نحو الجزيرة مرتادا ومنتجعا
أبلغ أيادا وخلل في سراتهم اني ارى الرأي ان لم اعص قد نصعا
يا لهف نفسي ان كانت أموركم شتى، وأحكم أمر الناس فاجتمعا
الا تخافون قوما لا أبا لكم أمسوا اليكم كأمثال الدبا سرعا
ابناء قوم تأووكم على حنق لا يشعرون أضر الله أم نفعا

ويصف لهم قوة الجيوش الزاحفة ومضاء اسلحتهم وتفرغ الزاحفين للحرب وعدم انشغالهم بشيء آخر غير ما تطلعوا اليه من الثار والفناء الساحق الذي ينتظر قومه ان هم تهاونوا او انشغلوا بغير الدفاع عن انفسهم الى ان يقول :

هذا كتابي اليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا
لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعا

الا ان القصيدة هذه المرة وقعت بيد كسرى فقطع لسان الشاعر وقتله أما أياد فلم يهتموا بالانذار فكان مصير اغلبهم الفناء في موضع يدعى بـ « مرج الاكم » وتفرق الباقون بين الشام وانقرة وتنصر من لحق بغسان .

كانت هذه القصيدة كما وصفها المتقدمون : « من القصائد المفردات الجاهليات التي لا يعرف في مثل معناها وجودتها وجزالة الفاظها » .

ويتالف الديوان من مقدمة المحقق ولوحات لاوراق الاصول المعتمد عليها في التحقيق مع تعليقات وشروح كافية أسفل كل صفحة ثم الذيل والتخريجات وجريدة للمراجع وفهارس لاعلام الرجال والنساء مع ذكر مصنفاتهم واسماء القبائل والامم والمواضع والبلدان ثم الشواهد التي تشتمل على كل ما ورد في المتن لغير الشاعر .

لقد بذل المحقق الفاضل جهودا مشكورة في اخراج الديوان وهو كعادته في التحقيق يلتزم جانب الدقة والامانة العلمية والتثبت ومراجعة المصادر دون كلل او ملل .. والديوان جدير بالدراسة لكل أديب وباحث .. تمنياتنا للاستاذ المحقق على اعماله المشكورة الرائعة في سبيل اغناء مكتباتنا العربية بكل غال ونفيس .

الكوت ـ العراق — **كاظم محمد حسين**

•

التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية

تاليف الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي ـ حققه وقدم له المستشرق هربيرت بوسه ـ ١٣٣ صفحة ـ حجم كبير ـ اصدار المعهد الالماني للابحاث الشرقية في بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت

لقد كان من بين ما اتجهت اليه انظار وعناية الاستشراق ، رحلات الشيخ عبد الغني النابلسي ، الاربعة المعروفة لدى الباحثين في تاريخ الرحلات الجغرافية العربية وهي :

١ ـ « حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز » التي وصف فيها الاماكن الخاصة في تلك المنطقة والتي بداها عام ١١٠٠ هـ

١٦٨٨ .

٢ — « الحضرة الانسية في الرحلة القدسية » وقد بدأها عام ١١٠١ هـ — ١٦٩٠ .

٣ — « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز » والتي بدأها عام ١١٠٥ هـ — ١٦٩٣ واستغرقت ثلاثمائة وثمانية وثلاثين يوما .

والرحلة الرابعة قام بها الى طرابلس في عام ١١١٢ هـ — ١٧٠٠ واطلق عليها عنوان « التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية » . واليوم بعد مرور قرابة ثلاثة قرون من تاليف الرحلة المذكورة ، ينشر المعهد الالماني للابحاث الشرقية الرحلة كاملة تحت رقم ٤ من سلسلة النصوص والدراسات الاثنى عشر التي ابتدأ المعهد الالماني باصدارها منذ عام ١٩٦٤ .

ولا بد لنا من القول ان العلامة هريبرت بوسه قد وفق في المقدمة الدراسية التي وضعها عن الرحلة الى ابلغ الحدود والدقة والامانة . ومن المعروف عن العلامة بوسة انه مدرس في جامعة هامبورغ ، وله دراسات قيمة عن الدولة الصفوية بايران ، والدولة البويهية في العراق.

ولا يخفى على اكثر المحققين ان جمهرة من المستشرقين الالمان ، ساهموا الى حد كبير في تعريف ونشر آثار النابلسي ابتداء من : فلوجل، وجيلد بماستر ، وفيلهلم الورد ، وكريمـر ، وبروكلمان ، وهارتمان، واخيرا العلامة هريبرت بوسة .

اما الرحلة الطرابلسية للنابلسي ، فانها تشكل اهتماما الى جانب الرحلات الطرابلسية، للحسن البوريني ، ولرمضان العطيفي ، ولابراهيم الخياري ، وليحيى بن ابي الصفا المعروف بابن محاسن ، وتستحق الدراسة الدقيقة ، وذلك لانها تنعكس عليها حياة ومعرفة ، اشهر رحالة لذلك العهد الذي عاش فيه النابلسي ، والذي خلف وراءه عددا هائلا من مختلف المصنفات ، وكان اهم ما يخص لبنان الرحلة الطرابلسية ، والرحلة البعلبكية — البقاعية ، في مرحلتين ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر .

طرابلس — لبنان

محمد اديب غالب

•

صور من شمالي جزيرة العرب

في منتصف القرن التاسع عشر

تاليف جورج اوغست فالين « عبد الولي » — ترجمة سمير سليم شبلي — مراجعة يوسف ابرهيم يزبك — ٢٨٥ صفحة — حجم كبير — منشورات اوراق لبنانية — مطبعة شرفان وديب ببيروت

كتاب في ٢٨٥ صفحة من الحجم الكبير من منشورات « اوراق لبنانية » يروي صفحة جليلة الشان من معالم الحضارة العربية في الجزيرة العربية ، ترجمه عن الانكليزية بدقة علمية الاستاذ سمير سليم شبلي وراجعه ووضع استدراكاته وتعليقاته وفهارسه المؤرخ الدكتور يوسف ابرهيم يزبك في ما يقرب من مائة صفحة تكاد تكون سفرا آخر .

والكتاب في الاصل جزءان كبيران من دراسة شاملة كتبها المستعرب الفنلندي جورج اوغست فالين عن شمالي جزيرة العرب ، وخصوصا جبل حائل في نجد ، في منتصف القرن الماضي ، بعد ان اعد نفسه لعمله هذا الجبار بدرسه اللغة العربية والتاريخ الاسلامي في بلاده اولا ، وفي مصر ثانيا حيث تعمق فيهما .

وبعد مواظبة نشيطة على ارتياد الازهر سافر فالين الى شمالي الجزيرة — وكانت اوروبة ، بل العالم الخارجي كله ، تجهل كل شيء عن العرب — فكان اول غربي ارتاد هذا الشمال وقطع الصحاري المحرقة وتسلق الجبال الشاهقة وهبط الاودية العميقة ، على ظهر جمل او مشيا على الاقدام ، فبطش وجاع وقاسى المخاوف والاوصاب والحرمانات ، ولكنه صابر وجالد حتى حقق اكثر امنيته واستطاع ان يصف بقلم صادق ، كانه آلة الفوتوغراف ، وبضمير حي وملاحظة دقيقة كل ما وقع عليه ، فكتب عن جغرافية المنطقة وعن دينها وتربتها وزراعتها وتجارتها وعاداتها ومجتمعها وقبائلها وأحكامها ومغازيها ما لم يسبقه اليه غربي ولا شرقي .

وكان من جراء ذلك كله ان « اكتشف » الرحالة الفنلندي جورج اوغست فالين سخاء ومرؤة وتقاليد انسانية يجهلها الغرب ، واخذ بما في الاسلام من بساطة سمحاء فآمن به واعتنقه وصار معروفا باسم « عبد الولي » .

واعجب رحالتنا كل الاعجاب بمرامي الحركة الاصلاحية الجريئة التي قادها العلامة الامام الورع الشيخ محمد عبد الوهاب فبسط حقيقتها في دراسته وكان صوته أول صوت سمعه الغرب والشرق في الدفاع عنها يوم عصفت رياح التعصب والتحامل والدس عليها .

والكتاب في الواقع صفحة عربية رائعة يحتاج الى معرفتها كل عربي في نهضتنا ، ويستحق الاستاذان يزبك وشبلي كل تقدير على نشرها .

•

كتب جديدة

١ — مقطفة النجوم

للشاعر نقولا معلوف — ٩٤ صفحة — حجم صغير — الناشر « دار المراحل » — سان باولو بالبرازيل

في عام ١٩٦٢ قام (شاعر عبقر) الملهم الاستاذ شفيق معلوف ونجيته الناقدة الذواقة المرحومة « روز » معلوف برحلة الى اوربا والوطن ، وبعد عودتهما الى مدينة سان باولو بالبرازيل دلف نسيبهما الشاعر الاستاذ نقولا معلوف للسلام عليهما ، وعند خروجه اهدته السيدة « روز » قارورة ... وما ان بلغ بيته وفض الهدية وذاقها حتى وجدها ملأى بماء الورد ... فأوحى اليه هذا الحادث الطريف والترادف المستحب بين اسم الهدية السخية « روز » وتعني «الوردة» وبين (ماء الورد) بقصيدة عنوانها « مقطفة النجوم » وبعد نشرها اعرضها اكثر من ثمانين شاعرا وشاعرة !

وبالحاح مني (ولا فخر) استجاب الصديق نقولا معلوف لمطلبي فنشر القصيدة والمعارضات في مجلة « المراحل » الراقية التي تصدرها في سان باولو الاديبة السيدة مريانا دعبول فاخوري ثم حزمها مع المعارضات في كتاب اسماه « مقطفة النجوم » وهي « روز » فقيدة الادب والاريحية والاخلاق الرفيعة التي خاطبها نجيها الاستاذ شفيق بقوله :

بالتي تقطف النجوم يداها ... ثم ترمي بهن تحت وسادي
بفتاة كأن اجنحة الشحرور ... كحلن عينها بالسواد
نقلي يا يد النسيم على اهدا ... بها السود ريشة العواد
ان اهدابها بقيات اوتاري ... شدت الى بقايا فؤادي

ولطرافة الموضوع عارض القصيدة اكثر من ثمانين شاعرا وشاعرة، ودوت اصداؤه في ارجاء المهجر والوطـن . وهـذا الحادث الطريف يذكرني بحادث شبيه به وقع في مدينة سان باولو ، دونك تفصيله :

في اجتماع عائلي جرى في منـزل المرحوم جورج معلوف سقط فنجان القهوة من يد قرينته السيدة ايزابيل ، عمدا او عفوا ، ولما كان المنزل يضم كلا من الشعراء المالفة : شاهين وميشيل وفوزي وشفيق، مد الله في عمره ، طلبت السيدة ايزابيل ان يصفوا المشهـد شعرا ، وللفائز منهم ساعة يدها الثمينة ، فانشد « شاهين » يقول :

شمل الفنجان لما لامست   شفتـاه شفتيهـا واستعـر
فتلظت مـن لظاه يـدها   وهو لا يدري بما يجني اعتذر
وضعتـه عند ذا من كفهـا   يتلوى قلقـا أنـى استقر
وارتمى من وجده مستعطفا   قدميها وهـو يبكـي فانكسر

وأنشد « ميشيل » :

عاش يهواها ولكـن   في هواهـا يتكتـم
كلمـا ادنتـه منهـا   لاصق الثغـر وتمتـم
دابـه التقبيل لا ينـ   ـفك حتـى يتحطـم

وأنشد « شفيق » مرتجلا :

ان هوى الفنجان لا تعجب فقد   طفـر الحـزن علـى مبسمهـا
كـل جـزء طـار مـن فنجانها   كان ذكرى قبلـة مـن فمها

فنظر المرحوم « فوزي » الى الفنجان فاذا هـو لـم ينكسر ... فقال معارضا :

مـا هوى الفنجان مختارا فلو   خيروه لـم يفـارق شفتيهـا
هـي ألقتـه وذا حظ الـذي   يعتـدي يومـا بتقبيـل عليهـا
لا ولا حطمـه اليـأس فهـا   هـو يبكـي شاكيا منها اليها
والذي أبقـاه حيـا سالمـا   أمـل العـودة يومـا ليديهـا

وعلى الاثر تألفت لجنة قوامها ثلاثة ادبـاء للحكم في افضليـة الابيات ، فحكم المحكمون بالساعة الذهبية للمرحـوم « فوزي » ، واذ ذاك قال خاله « ميشيل » مرتجلا :

يـا ساعة ! ما أنت أول ساعـة   ضيعتهـا مـن ذكريـات حياتـي
ما دمت ضيعت السنين فمـا أنا   بمعاتب دهري علـى الساعـات

وبعد ان امطر الشعراء والشواعـر الاستـاذ نقـولا معلوف بمعارضاتهم صادف ان حل عيد ميلاد « روز » ـ مقطفة النجوم ـ فقدم لها نجيها الاستاذ شفيق بيتين من الشعر ، وقارورة من العطر المفضل لديهـا :

صباح العيد جئت اليـك أفضي   بما يرويه عنـك الناس طـرا
فما استوعبت قيل الناس حتـى   حملت اليـك مـلء يـدي عطرا

لقد احسن الاستاذ « نقولا » بجمع قصيدته والمعارضات التـي تلقاها ، في كتاب أنيق الطبع ، وكما دخلت قصة « الفنجان العاشق » في تاريخ ادبنا المعاصر ، ستدخله قصة « مقطفة النجوم » مـن أوسع ابوابـه !

٢ ـ فلسطين : قبل وبعـد

تأليف الدكتور يوسف هيكل ـ ٦٦٤ صفحة ـ حجـم كبير منشورات « دار العلم للملايين » ـ بيروت

لم تحظ قضية عالمية بعشرات الكتب في سائر اللغات الحية كما حظيت قضية فلسطين التي تناولتها أقلام غربية وعربية مـن سائر أبعادها وجوانبها .

وفي عداد الاقلام العربية التي عالجت هذه القضية الشائكة قلم الدكتور يوسف هيكل الذي تحدر من أسرة يافية عريقة وكفل له ثراء والده المرحوم مصطفى هيكل دراسة جامعية عالية في فرنسا وبريطانيا، وبعد اتمام دراسته العليا في جامعتي « السوربون » و « لندن » عـاد الى يافا مسقط رأسه وشغل في القطاعين الحكومـي والقومي مراكـز رفيعة وتولى رئاسة بلديتها حتى عام ١٩٤٨ وبعد ان عصفت النكبـة الفلسطينية الاولى بعرب فلسطين وطوحت بهم شرقا وغربا عين الدكتور هيكل سفيرا للاردن في لندن وباريس وواشنطون ولم ينس ما ألم بوطنه المغصوب وشعبه المغلوب من ويلات مصائب فقبل النكبة الاولـى صنف مؤلفات اتسمت بالعمق والاصالة وقد عرفنا منها «القضية الفلسطينية» و « نحو الوحدة العربية » و « اجداد النبي » وبعد النكبة الثانيـة عكف مدة عامين على تصنيف كتاب هو من شوامخ الكتب التي عالجت قضية فلسطين وقد سماه « فلسطين : قبل وبعد » فجاء عرضا شاملا لتاريخ فلسطين منذ القدم وتناول فيه بالاسهاب والتحليل مـا اصاب فلسطين قلب العالم العربي من الصهيونية الباغية والاستعمار الغشوم، واضفى قلمه الخصب على اظلم قضية عرفها التاريخ مرجعـا تاريخيـا هاما ختمه بفصل مطول شامل عن الحوادث المؤسفة التي جرت في عمان صيف عام ١٩٧٠ ، ودارس القضيـة الفلسطينية يستروح في هـذه المعلمة السياسية عبير الخلاص من المحنة التي عاناها ويعانيها العرب اليوم في سائر اقطارهم .

فليتقبل اخونا الدبلوماسي اللبق الدكتور يوسف هيكل تهانينـا بهذا الاثر القومي النفيس الذي تعتز بـه قضية فلسطين ويجـد فيـه الباحث المنقب مصدرا جامعا مانعا للمآسي التـي واجهها عـرب فلسطين ، ومرآة تعكس الاضطرابات التي عاشها هذا الشعب العربي الاصيل الصامد في وجه المؤامرات التي حاكتها الصهيونية بدعم مـن الاستعمار حليفها على الظلم ونصيرها على طمس معالم الحق والحقيقة !

عمان ـ الاردن   البدوي الملثم